المجلد الحادي عشر — الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار — نيسان

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي — في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً، وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

الدفع مقدماً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة	كل سنة منها	
«	٣٠٠	« الخامسة الى العاشرة	«	«
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى الرابعة	«	«
«	٣٥٠	« الخامسة الى العاشرة	«	«

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

حياة العلامة أحمد تيمور باشا (١)

« ذكريات شخصية »

مبدأ التعارف ونشأته وأخلاقه

لما هبطتُ مصر اول مرة في سنة ١٩٠١ أرادني احد أصدقائي وأظنه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار على ان أزور احمد تيمور بك وقال ان في بيته اليوم اجتماعاً يضم شيخنا الامام الشيخ محمد عبده وجماعته فبادرت شاكراً له دلالته ، فدخلنا داراً فوراء على الطراز القديم من البناء ، وكان في الجلسة طائفة من العلماء والادباء ، ومنهم فيما أذكر حسن باشا عاصم وقاسم بك امين وفتحي باشا زغلول والشيخ عبد العزيز شاويش والشيخ محمد المهدي والشيخ حسن منصور والشيخ احمد الاسكندري . ولا أذكر ان كان في الجمع يومئذ سعد باشا زغلول وحفني بك ناصف واسماعيل باشا صبري ومحمود سامي باشا البارودي وعلي بك بهجت واسماعيل بك رأفت وعبد العزيز بك محمد والسيد محمد البيلاوي وحافظ بك ابراهيم والشيخ احمد ابراهيم والشيخ عبد الوهاب النجار فان الجمع ما كان يقل عن عشرين رجلاً . وهؤلاء كانوا من حلقة الاستاذ الامام ومن أصدقاء احمد تيمور بك .

تجلت لي يومئذ ظاهرة من ظواهر عظمة مصر بعظماء رجالها ، ورأيت عطفاً على غريب صعلوك شاب اكبرت معه بما شهدت تناهي المصريين في التأدب والرقة ، خصوصاً اذا كانوا من هذا الطراز الممتاز . ولقيت ذاك اليوم من أدب صاحب الدار ما بهرني فانعقدت بيننا اواخي الاخاء . وهذا المجلس كان المرحلة الاولى التي فتحت أمامي الدخول في المجتمع المصري ، وتشرفت بعشرة هذه الطبقة المختارة . رحم الله من سبقونا الى الدار

(١) محاضرة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي القاها في غرفة المجمع في هذا الشهر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخرة ومد في أعمار الاحياء منهم . غدوت منذ ذاك اليوم أحرص على الاجتماع باحمد تيمور ورعيله والاخذ عنهم ، وانشأت اكثر سوادهم لاني استطبت عشرتهم .

وكان تيمور في ذاك الحين يقرأ على الشيخ محمد محمود الذكري الشنقيطي امام اللغة في عصره . وقال لي هذا مرة انه لم ير في مصر من يفهم كلام العرب مثل الشيخ محمد عبده واحمد بك تيمور ، وذكر شخصاً آخر أنسيته . وكان تيمور تخرج في صباه في دار ابيه باستاذه الشيخ رضوان المخللاتي ولازم أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلسوف الازهر وشيخ شيوخها مدة طويلة ، فأخذ عنه العلوم الدينية والعقلية والادبية . واتصل بعد ذلك بعلماء عصره كالشيخ العدوي والشيخ الهوريني والشيخ الحسيني ثم مؤخراً بالشيخ طاهر الجزائري . ولكثرة ما استهوى قلبه حب الشيخ محمد عبده ابتاع بجواره في عين شمس داراً بحديقة جميلة ونقل اليها من العاصمة خزانة كتبه ولازمه ملازمة المستفيد المغتبط .

وما زالت الصداقة تزيد بيني وبين احمد تيمور حتى كانت السنة التي أنشأت فيها مجلة المقتبس في القاهرة غرة المحرم سنة ١٣٢٤ . وكنت ازداد إعجاباً مما أرى من اخلاقه وحرصه على الاستفادة من مجلس الامام محمد عبده واللغوي الشنقيطي وأضرابهما ، ممن يغشون مجلسه او يغشى مجالسهم وأحس منه عزوفاً حتى عن بعض المشهورين ، وتحرزاً من مخالطة من لا يعرف ماضيه وحاضره . فكان وهو في تلك الحقبة من حياته بعيداً عن القوم قريباً منهم ، يهتم لسعادة أصحابه و يرمضه اذا نزلت بهم نازلة ، ويتبسط مع خاصته تبسطاً ما خرج فيه يوماً عن حدود الأدب والفكاهة ، وما تعدى حواره البحث عن ما في الكتب مطبوعها ومخطوطها والنظر فيما يعلي شأن الاسلام والعرب . واخذ قبيل ذاك العهد يكتب آراءه وابحاثه في جريدتي المؤيد والاهرام ومجلات المقتطف والضياء والهلال والمقتبس ثم السلفية والآثار والزهراء وغيرها . والغالب انه كان يكتب في المناسبات او متى أريد على معالجة موضوع غامض يحتاج الى درس ، او يعرض ما عنده من المواد المهمة التي يستعان بها على ظهور الحقيقة .

وكان لاول عهدي به لا يبين رأيه في بعض معاصريه ، وان كان منهم لا تروقه حركاته وأفكاره ، هذا وهو على يقين من ان بعض الازهريين كانوا منذ اخذت تعظم شهرته ، يحسدونه و يصغرون من شأنه . ومنهم من كان بعده في الخلاء لان احمد تيمور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على غناه وشرف بيته لا يهنأ له عيش الا اذا أنفق ماله على العلم وعلى المعوزين من المساتير. وما عدا ذلك من أبواب النفقات ليس له فصل في موازنة بيته ، بل كان عيشه في الحقيقة عيش اهل الطبقة الوسطى ، مع ان ما أوتيه من اليسار كان يتأتى له به ان ينفقه في ضروب من البذخ والرفاهية ، يسمو به الى محاكاة الطبقات التي تماثله بغناه في القطر المصري .

قلت انه كان ينفق على المساتير وربما كاد اقتصاده بعد امساكاً في نظر بعض من لا يعرفون للمال قيمة (مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٢٤١) ولا يحكمون على ارباب المروآت الا بما يبدو من مظاهرهم وظواهرهم . فكان مايرمى به حسداً ولؤماً يترامى الى سمعه فيبتسم ولا يفوه بكلمة . غبرت ايام وأعوام ثبت بعدها من طريق احد المفضل عليهم انه كان يدرُّ المشاهرات على بيوت كثيرة في مصر ، قعد الدهر بارابها فأعجزهم عن الكسب . فكان يرسل اليهم على رأس كل شهر مع احد مستخدمي دائرته بما يقوم بنفقتهم سراً ويأبى عليه شرفه ودينه ومكارمه اذاعة ماتجود به نفسه ، فيتكتم بحسناته جد التكتم ، وقد اخذ العهود على من يحسن اليهم ان لا يذيعوا له سراً . ولما اشتهر امر صدقاته شق عليه ذلك فتظاهر بان أطيانه أصيبت لاتعطيه الربع الذي كان يأتيه منها وانه في ضائقة من المال اضطرته الى تخفيف نفقاته . وبعد مدة أصبح هؤلاء الذين عاشوا زمناً بنعمته يتنا ولون من المصرف حوالات مالية تأتي باسمائهم وهم لا يعرفون مصدرها بل ان المصرف ذاته لا يعرف حقيقة مرسلها . فتأمل بربك هذه النفس الكريمة المسلة وهذه الأخلاق التي لا تشهد مثلها في مئة غني من اغنياء زماننا .

حقيقة ان وجه الغرابة في تربية مترجمنا هو انه اخذ من العلم أقصى ما يمكن اخذه لمن كان في أصالة بيته ، فأتقن من اللغات العربية والافرنسية ، وهذه درسها في مدرسة (مارسيل) مدرسة أبناء الاعيان خمس سنين ، وتلقف الفارسية والتركية على أساتذة خصوصيين ، ونشأ يتيماً في حجر أخته المرحومة عائشة عصمت التيمورية الشاعرة الاديبة المشهورة فجاء منه مع هذا الغنى رجل علم ورحمة وقصد وتدين وعزوف عن المظاهر والاشتغال فيما ينفع . ولو أراد لاول امره على ما لابيه وجده من المنزلة عند الأسرة المالكة ان يدخل في المناصب الحكومية لخطبته الوزارات ، ولما تخطته الرئاسات والزعامات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن كان نبوغه ينحصر في دائرة خاصة ولا تنبعث مواهبه العلمية الانبعاث الذي قدر لها باشتغاله في جو هادىء لا تكدر صفوه مشاغب الاحزاب ولا متاعب السياسة واهواؤها فاقتصد من وقته في هذه الناحية . وشغله طول عمره في ملاذ روحية من مطالعة و بحث وتأليف قلّ ان تتاح لكثير ممن شغفوا بالعلم ، وحاولوا استثماره لفائدته ولذته لا لمقصد آخر .

قلت كانت لابيه وجده المنزلة العليا عندالأُسرة العلوية . جاء جده احمد مع جد شاعر العصر احمد شوقي بك الى مصر، وكانا من ابناء الاكراد ، وجدّ مترجمنا من مدينة الموصل ، ارسلهما والي عكا الى محمدعلي الكبير واوصاه بهما خيراً قائلا ان النجابة بادية عليهما وانهما سيبلوان البلاء الحسن في خدمة الدولة المصرية ، فعين جد مترجمنا في وظائف انتهت به ان عد في آخر امره من قواد محمد علي ، كان ابنه من بعده رئيس الديوان الخديوي . وخلف اطياناً كان ما اصاب المترجم منها مع ماابتاعه بأُخرة من بقية الورثة نحو ثلاثة آلاف فدان ، وكان يتعهدها احسن تعهد ولا تعوقه عن طلب العلم بل تساعده على اتمام رغائبه منه . وكم من ابناء الاعيان امثاله من اورثهم آباؤهم الوف الافدنة فلم يحسنوا استغلالها ، وانفقوها بسوء تربيتهم في شهواتهم واسرافهم او ضاربوا فاستدانوا فافتقروا . اما هو فخالف جمهرة جيله فكان بالتربية الاسلامية العالية التي لقنها في صباه غنياً بماله ، غنياً بعلمه ، غنياً بتدبيره وعقله . تجردت نفسه الكريمة عن المطامع ، ومعهذا اقبلت عليه الدنيا من طريقها المشروع المعقول .

غرامه بالكتب واحتفاله بجمعها

عرفنا بما تقدم ان بيت تيمور كان بيت علم وفضائل ومجد تليد طريف . فلما نشأ عالمه هذه النشأة الطيبة ، رأى في داره خزانة كتب صغيرة لم تشبع نهمته العلمية فقام في نفسه منذ سنة ١٨٨٩ ان يقتني من المخطوطات والمطبوعات ما يتلاءم موضوعه مع ما غلب عليه من العلوم ، وما يزال ينفق على اقتناء مجموعاته عن سعة وهو يطالعها و يعلق عليها ويخدمها بالفهارس والحواشي حتى تألف منها قبيل وفاته خزانة كتب تقدر بنحو ثلاثة عشر الف مجلد ، عدا الصور التاريخية والآلات الفلكية ومحابر واقلام كانت لبعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المشاهير ونحو نصف خزانته مخطوط او مصور بالتصوير الجديد . وقد وضع لمخطوطاته قائمة جليلة كانت مرجعاً لكل طالب وطابع وناشر من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات ، وقلما كان يضن بها على احد ، يعيرها حتى الى البلاد البعيدة ، فاشتهرت في الشرق والغرب ، وعُدّت بحق اهم خزانة خاصة في بلاد المشرق لغناها بمخطوطاتها النادرة ، ومنها عشرات من الكتب كتبت بخط مؤلفيها او قرأ فيها اعلام من رجال السلف او قرئت عليهم وعلقوا عليها واجازوها .

أُتيح لي ان اصف هذه الخزانه التيمورية في سنة ١٣٣٠ هـ وكانت اذذاك نحو ثمانية آلاف مجلد . وكان صاحبها دعاني مع أستاذي العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري الى زيارتها في عزبته في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا وهي احدى مزارعه كان يؤثرها على غيرها لان اباه وامه كانا يحبان المقام في قصرها وينزلان فيها اياماً معدودة من كل سنة . ذلك ان احمد تيمور اسودت العاصمة في وجهه بعد وفاة شيخه وصديقه الشيخ محمد عبده وزهد بعده بالدار التي كان اقتناها في جواره فرأى ان ينقل خزانته من عين شمس وحملها الى قويسنا ورتبها في خزائنها احسن ترتيب فكان يفزع اليها كل حين ليطالع ويؤلف .

ولقد قضينا في ضيافته ثلاثة ايام كان خلالها يقرأ علينا اسماء الكتب المخطوطة وأستاذنا الجزائري يتولى الترجيح في اختيار الاندر فالاندر ، فوصفت الخزانة اذ ذاك في احدى وعشرين صفحة في المجلد السابع من مجلة المقتبس . ولقد قلت له يومئذ ان وجود الخزانة في داره بقويسنا لا يؤمن عليها من الحريق ، لان الدار متلاصقة مع بيوت الفلاحين ، والفلاحون يضعون الخوص والعيدان على سطوح بيوتهم ، فاذا سرت النار الى بيت من البيوت لا تلبث العزبة وما اليها ان تحرق في ساعة . وفي ذلك من الخسارة على العلم ما فيه . فاجابني ان في نيته ان يعمرها داراً في مصر ينقلها اليها ، وغبرت مدة واشترى ارضاً في الزمالك احد الاحياء الجديدة في القاهرة وعمرها ونقل الخزانة اليها بعد سنة ١٣٤٠ وكتب (في ٢ يونيه ١٩٢٣) يقول : « ان الخزانة رتبت والحمد لله ولم يبق الا عمل فهرس جديد لها على الطراز الحديث في الجزازات ولا بد لها من ثلاثة فهارس فني ومعجمي وآخر لاسماء المؤلفين فأرجو ان يوفقني الله لمن يقوم بعمله لان أشتغالي به سيعطلني عما بيدي . » ثم وقفها ووقف عليها بعض اطيان تقوم بنفقاتها ، وجدّ واي جدّ في ابتياع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما ينقص مجموعته في كل علم من المطبوعات والمخطوطات ، وربما لا يقل ما انفق عليها عن مئة الف جنيه ، ثم نزل عنها للامة المصرية الكريمة بل للعلم العربي الاسلامي فأعظم بها من مأثرة ..

سعة علمه التي جعلته مرجعاً

توطدت صلات الحب والتشاكل في وحدة المقصد في سني ١٩٠٦ و٧ و٨ بعد نشري مجلة المقتبس فكان يؤازرني فيها ، ويعيرني كثيراً من مخطوطات خزانته اكتب في وصفها في المجلة ، فلما رحلت عن مصر الى دمشق في آخر سنة ١٩٠٨ بعد انشاء الدستور العثماني استعضنا عن المسامرة والمذاكرة ، بالمراسلة والمخابرة ، ولم تكد تنقطع رسائله او رسائلي مدة قصيرة الا لمعذرة كمدة الحرب العالمية الكبرى ، وقد انقطعت المواصلات بين مصر والشام اربع سنين . وجدت في اضبارة خاصة برسائله الي مئة واربعين رسالة عدا ما أرسله باسمي الى المجمع العلمي العربي مباشرة منذ أواخر سنة ١٩١٩ . ومجموعة رسائله خلاصة علم ودرس وبحث عن المفقود او الموجود من المخطوطات ومنها مشاكل في اللغة والأدب والتاريخ .

ولقد كنت منذ توطدت بيننا أواصر الصداقة التي زادها تمكيناً وجود أستاذي الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة مدة ثلاث عشرة سنة وكان هو على اتصال وثيق به بعده أعز عزيز عليه بعد شيخه الامام محمد عبده — اذا عرض لي او لبعض أعضاء المجمع اشكال لغوي او تاريخي او أحببت ان أعرف كتاباً في موضوع يهمني البحث عنه لا أجد من يشفي غلتي خصوصاً بعد فقد أستاذنا الجزائري غير المرحوم احمد تيمور . ومجموعة كتبه الي تؤلف مجلداً مفيداً جداً في هذه الابحاث . ولاسيما ما كان منها ذا علاقة باسفار القدماء من الأسلاف فهو في هذا الموضوع المفرد العلم والصدر المقدم والبحاثة الواسع المادة ، البعيد النظر ، الصحيح الاستنتاج والاستقراء . ساعدته على ذلك جودة ذاكرته وتقييده في دفاتره كل ما يعثر عليه في الكتب التي يقتنيها ويصنف لها الفهارس التي تقرب منال الاخذ منها على أحدث طراز في هذا الباب .

رأيت كثيرين من غلاة الكتب من الشرقيين والغربيين وقل ان عرفت مثله من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا تكلم في الكتب كان كلامه عن ذوق وتحقيق . وذلك لانه يطالع كثيراً ويقيد كل ما يظفر به ولا ينسى ويحسن الاختيار ويجوّد النقد . وقد كتبت له عامة أسباب النجاح في هذا الباب لانه عالم يُعنى بتعهد علمه بالتنمية كل يوم ويجمع الكتب ويحرص على اقتناء نوادرها خصوصاً ، ويغلي لها الثمن معتقداً انها هي الكنز الثمين . وكان اذا صارت الاسفار الى ملكه لا يلقيها كما يلقيها اكثر هواة الاسفار ويبرد شوقهم اليها بمجرد تقليب صفحاتها والالمام بمضامينها او بمجرد انتقالها الى خزائنهم فقط فتراهم يرجئون النظر فيها اذا ملكوها لتشاغلهم بامر آخر او لانهم ممن يهوون جمعها وشكلها ويزهدون بما في بطونها . اما هو فيشرع حالاً بدرس مايقتنيه ويتناولها باليمنى فرحاً بقدمها ، مقدساً لعمل مؤلفها معتبطاً باقتنائها يحملها بالتجلة ويودعها قمطره بالاعظام ، ولا يزال بها حتى يحفيها درساً بالفاظها ومعانيها . ولطالما هنأني على ما كنت أظفر به من نوادر المطبوعات والمخطوطات كأنني ولد لي مولود او أظفرني حسن الطالع بعزيز مفقود . وفي العادة ان يضن غلاة الكتب بكتبهم اما هو فقد تعوّد بسط الكف فيها لان غايته منها نشر العلم واحياء آثار السلف . كتب اليّ مرة (٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٢) يقول : « نقلت لك ترجمة الصدر الآمدي من مخطوطين نادرين عندي ولا يبعد ان يكون السخاوي ترجمه ايضاً في الضوء ولست على يقين من ذلك لان نسختي استعارها احد الاصحاب من ثلاث سنوات ولم تزل عنده ولا يريد ردها وكلما احتجت الى الكشف عن ترجمة أذهب الى عنده واكشف عنها . » فتأمل هذا الشغف بنشر العلم وهذا اللطف حتى مع المتساهلين في رد الكتب الى أربابها ، وقد تكون مما لا يقع عليه ثمن .

مثال من تهذيبه

لما صح عزمي على نشر كتابي « خطط الشام » كان يبعث اليّ في البريد بالنوادر من المخطوطات التي أطلبها او لا اطلبها ، عساني اظفر فيها بجمل تدخل في موضوعاتي ، وكنت أعيدها الى مصر في البريد المضمون ، ولا ترتاح النفس الا اذا اخذت علماً منه بوصولها ، فاسدي بذلك اليّ يداً لا تنسى على وجه الزمان ، ومنها ما كان ينسخه بالتصوير الابيض على الاسود ويرسلها هدية الى المجمع العلمي العربي وكثير مما في خزانة المجمع من هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النوادر المصورة هو من هدايا احمد تيمور ، ولطالما اهدى اصحابه ومن يعملون لمصلحة عامة اشياء من هذا القبيل ولم تؤسس في الشرق العربي خزانة كتب الا كانت هداياه اليها اول الهدايا . لا يضن في هذه السبيل بعشرات الجنيهات اذا ايقن من ورائها خدمة للمسلمين والعرب .

ولما تم تأليف الخطط وقد خدمه بعلمه وماديانه وشعر بانني اريد ان اقدمه اليه عرفاناً لجميله تأفف وتنصل وحاول ان يقنعني بالعدول عن قصدي ومما كتبه اليّ في هذا الشأن (٩ جمادى الاولى ١٣٤٢) :

« سرني اهتمامك بانجاز الخطط وهو ما كنت احثك عليه دائماً فأسأله تعالى ان يتولاك بعنايته وتوفيقه حتى تتم هذا العمل العظيم النافع وقد احسنت كل الاحسان في تخصيص فصل منه لتاريخ الشام السياسي كما فعل من كتب قبلك في الخطط واذا وفقت الى طبعه على مثال طبع المجلة فسيكون على احسن مثال . اما صورتي فليس عندي احدث منها لاني لم اصور نفسي بعدها وتصدير كتابك بها فضل كبير تطوق به عنقي وتنبه من ذكري ولكن هل لك ان تسمع كلمة مني واقسم لك انني لا اقولها تواضعاً وتخاشعاً وهي ان تعدل عن ذلك لاني لا ارى لي من الفضل ما استحق به ان اصور في فاتحة كتاب كهذا وما هو بمنع مني ولكنه رجاء أرجو ان تقبله . » وعاد في كتاب فكرر هذا المعنى راجياً اعفاءه من هذه المقدمة قال (٢١ جمادى الاولى ١٣٤٣): وصلني كتابك فأخجلني مافيه وقد كنت استعفيتك من وضع صورتي في الخطط فأكرر الآن هذا الاستعفاء شاكراً حسن ظنك وجميل رأيك و بعلم الله اني لا أقول ذلك تواضعاً فهل لسيدي ان يحسن اليّ باعفائي من ذلك وله مني الشكر الجزيل والثناء المكرر . » وكتب ايضاً بهذه المناسبة بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٤٣ : « وصلتني الملزمة الاولى من الخطط وقرأت مقدمتها واذا ساغ لي شكر سيدي الحبيب على مانفضل من التنويه بي افلا تسوغ معاتبته على هذا الغلو والاغراق . حقاً يا سيدي انك بالغت مبالغة أخجلتني فيها وأخجلتني فلا أدري ما اقول والله سبحانه يجزيك خير الجزاء على حسن ظنك بي الى هذا الحد . » وهكذا كان أدب نفسه يوم أراد صديقه ان يقابل بعض جميله و يقول في نعته مايعتقده و يعتقده كل من سبر غور اخلاقه وسمة علمه . وهو يستقل ما يعمل ، شأن ارباب الهمم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العالية و يستكثر مايعمل له ، فقد أهدى دمشق مجموعة بديعة من النقود القديمة قال لي صديقي امير الشعراء احمد شوقي بك انه لم يجمعها هو وحده بل جمع فيها ابوه وجده من قبله ، ومع ذلك كان في اهدائها متواضعاً . فقد كتب لي في ٢ رجب سنة ١٣٤٢ « عندي مجموعة نقود قديمة من دنانير ودراهم وفلوس جلها من النقود العربية وعددها (٤١٨) قطعة ومعها مجموعة أختام قديمة عددها (٣٤) قطعة وقد رأيت اهداءها لدار الآثار العربية بدمشق وكتبت لكم جريدة ببيانها وسأسلمها جميعها لحضرة السيد الكسم ليحملها اليكم في عودته فأرجو التكرم بقبولها وغض النظر عن تفاهتها ولكم الفضل » . وعاد فأكمل هذه المجموعة بمجموعة أخرى من الدنانير الذهبية القديمة وعدّ كل ذلك تافهاً .

بعده عن الظهور وإيثاره العزلة

لما تولى جلالة الملك فؤاد ملك مصر منحه رتبة الباشوية فتململ لانها صدرت عن عاطفة عالية نحوه ولم يسعه الا قبولها . ولما هنأته بها أجابني : « اما الرتب فسيدي يعلم رأيي فيها من قديم ولكنها لما كانت عنوان العطف شكرت مولاي السلطان بقلبي ولساني على عطفه » . ولما عين عضواً في مجلس الشيوخ ضاق صدره ايضاً فكتب اليّ (١٠ آذار سنة ١٩٢٤) يقول : اما عضوية الشيوخ فقد تورطت فيها إطاعة لرغبة جلالة الملك وحاولت التنحي فلم أفلح اذ لايخفى على سيدي دقة هذا المركز في وسط العاصفة الثائرة ولاسيما ان امر البت في مصير القطر سيكون في هذه النوبة من انعقاد المجلس وهو ما كنت أتوخى الابتعاد عنه ما امكن لاسباب كثيرة تعرفها » . وكتب ايضاً : (١٦ ربيع الثاني ١٣٤٣) « صحت عزيمتي على الاستقالة من مجلس الشيوخ وكنت على وشك تقديمها لولا عقبات قامت بوجهي اهمها استرضاء جلالة الملك فارجو الله تعالى ان يهيئ لي باب الخلاص .

وحقاً انه كان يحب الابتعاد عن السياسة كل البعد ، ولكن مصالح بلده تستلزم استدعاءه في الأحايين ، فكان الموضوع الذي يلذه كونه عضواً في مجلس الازهر ، وعضواً في مجلس دار الكتب المصرية ، او في كل مجمع علمي مؤسس في مصر او غير مصر ، اما كونه عضواً في الشيوخ فهذا مالا ترضى عنه نفسه ولا تسمح بالاضطلاع به تربيته ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الذي عاش هادئاً مسالماً بصرح بما يعرف ولا يتعدى طوره . كتب يقول : (في ٢ يونيه سنة ١٩٢٣) « يعلم سيدي الاخ اني لا أعرف من السياسة الا مادة ساس يسوس التي أراها في المعاجم فاذا ذكرت الحكومة بخير او بشر فانما أذكرها من الوجهة العلمية فقط . فمن دلائل عناية الحكومة الحاضرة بالعلم الانعام برتبة باشا على صديقكم احمد كمال باشا الاثري الشهير وتقرير طبع معجمه المصري العربي الفرنسي على نفقتها وستشرع في ذلك قريباً واحداث مدرسة للسان المصري يتولى هذا العلامة التدريس فيها اما المعجم ففي عشرين جزءاً ولا يستطيع طبع مثله في الشرق الا الحكومات » .

وكتب في ١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ : « ويظهر ان الوحدة من الوسائل الناجعة في صحتي لتفرغي فيها لما اشتهي من المطالعة في راحة وهدوء بال وبعد عن القيل والقال ومجالس المدن التي أصبحت أجد نفسي غريباً عنها ، ولله در من قال :

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل

وكتب في ٢٢ رجب سنة ١٣٣٨ : « وقد كان سيدنا وأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ورضي عنه منزعي الوحيد عندما اكون بالقاهرة فشاء القدر ان يفجعنا به ولا يبقي لنا من تلك الايام الا الذكرى المؤلمة والاسف المتواصل . حالنا يا سيدي الاخ عجيب غريب في هذا التطور الجديد . فقد اصبحت العامة والخاصة الجهال والعلماء في مستوى واحد من الآراء ونعمت والله الحالة لولا انه عمل صالح مرفوع الى أسفل ونتيجة منطقية تابعة للاخس من المقدمتين . فقل لي بعيشك اي انس في الاجتماع واية لذة في المخالطة وقد أصبح من المتحتم على المرء قبول كل مايقال على تغيره ونناقضه كل يوم والا فالويل له ثم الويل . ولهذا تراني في اكثر اوقاتي جانحاً بوحدتي بقوبسنا مكتفياً بمنادمة كتبي وقد أنجزت في هذه الفترة بعض ما كانت تتوق اليه نفسي من المواضيع ولعلي أوفق الى طبع بعضها متى انخفض ثمن الورق » . وكتب ايضاً (في ٢٩ شوال سنة ١٣٤٤) : « احوالنا الخاصة والعامة غير مرضية فقد بعنا القطن بثمن بخس لا يفي بنفقاته وخسر المزارعون هذه السنة خسارة كبيرة ، اما الاحوال العامة فسيدي عالم بها من الجرائد الضالة المضلة والمصير مجهول ولكن الله لطيف بعباده » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مجموع هذه النتف من رسائله تتجلى روح احمد تيمور ، وبعد نظره في مسائل وطنه وان زعم انه لا يعرف مداخلها ومخارجها .

حرصه على المصلحة العلمية

لما صدر الامر بتوقيف اعمال المجمع العلمي العربي في أواخر العهد الفيصلي ساءه ذلك جداً وكتب مرة (٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣) : « رأيت في بعض الجرائد السورية نبأ ساءني عن المجمع والعزم على الغائه فعسى ان يكون نبأ كاذباً . فلا يهدم بذلك اعظم صرح من صروح النهضة اللغوية في الشرق » . وكتب قبل هذا التاريخ (٥ شوال سنة ١٣٤٠) : « وقد كان سروري لا يقدر من النبإ الذي بشرتموني به بثبات المجمع وبقائه وهو البقية الصالحة والامل الوحيد لانصار العربية » . وكتب (٤ يناير سنة ١٩٢٣) : « اننا في حاجة كبرى لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة ترادف أخرى دخيلة ، بل النظر في وضع هذه الألفاظ من اهم ما تشتغل به المجامع اللغوية ان لم يكن اهمها كلها ، وقد عني مجمعنا الدمشقي بذلك واتى بفوائد لا تنكر » . وقال في نفس هذه الرسالة : « المجمع املنا الوحيد في إنهاض اللغة فلهذا نقابل كل خبر سيئ عنه بارتياع عظيم فنشكر همة الاستاذ الكبير فارس بك الخوري ونرجو ان يكون في اتباعه للاتحاد السوري ما نؤمله له من الثبات » . وكتب (٣ رجب ١٣٤٤) : « ساءني جداً فتور المجمع عندكم وتوقف المجلة عن الصدور وهي التي كنا نعدها من مفاخرنا » .

اما بشأن المجامع التي أُلفت لغرض خدمة العربية بمصر ، فقد كتب (٢٦ جمادى الاولى ١٣٣٧) : « واما الاخبار العامة فتأليف المجمع اللغوي برئاسة شيخ الجامع الازهر وانضمام من هبَّ ودبَّ اليه والامل فيه قليل والسير بطيء وقد مضى علينا سنتان لم نضع فيهما شيئاً ونفسي تحدثني بالاستقالة منه وقد فاتحت الاستاذ الطاهر في ذلك فصوَّب رأيي ولكنه أوصاني بالتريث » . وكتب ايضاً : « اما مجمعنا بمصر فلا أدري ما قُدِّر له ولا أخفي عليك اني أميل فيه الى التشاؤم ولا سيما بعد ان سمعت اقتراحات لبعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانتصارهم للعجمة وفتح الصدر لكل دخيل وسنرى ماسيكون فربما كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حكمي غير مصيب وارجو ان يكون كذلك » . وكتب (٢٢ رجب ١٣٣٨) : « الحركة العلمية بمصر نائمة ومجمعنا اللغوي في حكم المعدوم » . وكتب في ٦ يوليو سنة ١٩٢٣ : وفيه دليل على شدة غرامه باحياء آثار السلف قال : « اخبر سيدي بخبر اعرف انه يسرّه ولكني اودّ ان يظلّ مكتوماً حتى نبدأ فيه بالعمل فانه لم يزل الى الآن في حيز القول ذلك ان الفاضلين النشيطين الشيخ عبدالمعطي السقاء المدرس بالازهر واحدالمولعين بالكتب والسيد محب الدين الخطيب فكّرا في تأليف شركة لاحياء مآثر السلف بالطبع على نمط جمعية المعارف القديمة وخاطباني في ان اتولى امرها فرضيت بان اتولى السعي فيها واقترحت ان تسند رئاستها لصاحب المعالي حشمت باشا وزير الخارجية الآن اعترافاً بفضل الرجل لانه صاحب اليد البيضاء على مشروع إحياء الآداب العربية لدار الكتب والواضع له وكل كتاب يطبع فيها الآن فهو من ثمرات غرسه فوافقا ، ثم قيدنا اسماء من رأيناهم يصلحون لان يكونوا مؤسسين واعضاء لمجلس الادارة ممن يثق الناس بهم واشتهروا بعلم او جاه او ثروة واخذنا نطوف عليهم نعرض عليهم المشروع ونبين لهم فوائده فما قوبلنا من اكثرهم الا بالفتور والوجوم ولم نر من حشّ للمشروع وحث عليه غير اسماعيل رأفت بك وعلي بهجت بك ولكن ذلك لم يمنعنا من الدأب ومواصلة السعي حتى يتم المرغوب ومتى وفقنا لتأليف الاعضاء نعرض امر الرئاسة وقتئذ على حشمت باشا والله سبحانه الموفق » .

واشار في رسائل له غير مرة الى يأسه من قيام الاعمال النافعة بايدي الافراد والى ان القوم في وادٍ آخر . وبقدر ما كنت تراه يحرص على إحياء آثار السلف لعلمه بانها التركة الثمينة الناطقة بمدنيتنا النافعة في حاضرنا ومستقبلنا ، كان يرغب عن إحياء الكتب التي يعتقد الضرر بنشرها ، فقد كتب (في ١٤ ابريل ١٩٢٣) : من اخبار الكتب ان السيد كاظماً الدجيلي كتب يسألني عن كتاب المثالب لابن الكلبي وانه عثر على قطعة منه بالعراق يود تكميلها ، ولا يخفى انه في مثالب العرب . فكتبت اليه اني لا اعرف عنه شيئاً ، وقلت له انه وان يكن بعدّ من النوادر فليت كل نادر مفقود كان من نوعه فليذهب غير مأسوف عليه » .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلام على تآليفه

قلت ان احمد تيمور كان عزوفاً عن الناس وكان ايضاً زاهداً في الشهرة فشهرته كانت تتبعه بالضرورة وما كان في الواقع عبداً لها يتبعها فتستجيب له او لا تستجيب ، ولو قصد الى الشهرة لكانت منه على طرف الثمام ، ولكان يُعنى على الاقل بطبع مؤلفاته في حياته ويقلل من العناية ببحثها مكتفياً بما تهيأ له . واكثر ما ألفه وطبعه في حياته كانت تدعوه اليه الدواعي مثل رسالته في الرتب والألقاب فقد كتب اليّ في « ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٣ ، واني أشكر سيدي الاخ على تفكيره في إعادة طبع بعض آثاري التافهة التي لا تحق هذه العناية ، فرسالة الرتب والالقاب لم أضعها في الاصل لتطبع بل جعلتها مادة أقدمها للحكومة للمناقشة فيها في الوقت الذي عزمت فيه على تغيير الالقاب فلما رأيتها أبقت على أغلب الالقاب الاعجمية ضربت عنها صفحاً ، ثم رآها عندي السيد محب الدين الخطيب فنقلها ثم تكرمتم بطبعها ، واما طبقات المهندسين فلا أظن في نشرها بمجلة المجمع فائدة بعدما نشرت بالهندسة فلندع صفحات المجلة لما هو أفيد منها وعسى ان اجد فرصة لأعيد النظر فيها وأضم اليها زيادات اطبعها على حدة » .

وكتب في (٢٢ ذي القعدة ١٣٤٣) : « رحلت هذا الشهر لبعض البلاد المصرية ترويحاً للنفس فقادني الطواف الى المنصورة فزرت بها اثراً اثاراً يخيّاً نفيساً هو بقايا دار ابن لقمان التي اعتقل بها لويز التاسع في إغارته على مصر وقد كتبت بحثاً عن هذه الدار رجعت فيه الى المصادر العربية والافرنجية وسلمته امس قبل سفري الى اخينا محب الدين لينشره في الزهراء . وقد كان لهذا الاثر ياسيدي اثر في نفسي تذكرت به ماضينا وسألت الله ان يلطف بنا في حاضرنا ويهيئ لنا منه مخرجاً فهو اللطيف بعباده » .

وكتب في (٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٠) بشأن كتابه التراجم مانصه : « كتاب التراجم لم أشتغل به الا يسيراً ومرادي ان يكون خاصاً باعيان الشرق في القرن الثالث عشر الهجري اي ان يكون كالذيل لسلك الدرر ثم ألحقه بذيل في تراجم اعيان اوائل القرن الرابع عشر وكل ما أنجزته منه لا يخرج عن تمهيدات وسأخلص فيه من الجبرتي ومن خطط علي باشا وأضم بعد ذلك ما استطيع جمعه . الا ان معجم العامية المصرية والكلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على اصولها وما يقابلها من الصحيح يستغرق اوقاتي كما تستغرق اوقاتكم الخطط ومن الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق » . وقد اتم التراجم فيما احسب وكذلك معجم العاميـة المصرية وهو من المدهشات في التحقيق اللغوي يدل على علم واسع جداً وقد نشر منه نموذجات في مجلة المجمع العلمي العربي في بضع مقالات وربما كان هذا السفر كتابه الخالد لانه صرف فيه اوقاتاً طويلة وجوّد كل الاجادة . ومنها كتابه نوادر المسائل « وكان كلما مرت به مسألة نادرة او حادثة غريبة او توضيح لمشكلة خلال مطالعـاته الكثيرة يقيد ذلك في كراسات مع بيان اسماء هذه الكتب المشتملة على هذه النوادر ورقم الصفحة التي احتوتهـا واجتمع له منها شيء كثير رأى في آخر ايامه ان يرتبه ويضم الشكل الى شكله و يطبع ذلك و يقدمه الى العلماء والباحثين طرفة لم يقدم اليهم مثلها » .

وقال الاستاذ السيد محب الدين الخطيب ان هذا الكتاب هو الأُم لمؤلفـات تيمور باشا كلها بل هو خلاصة مطالعاته واطلاعاته وسماه معجم الفوائد . وللمترجم له من الآثار التي ألفها عدة رسائل وكتب ومنها البرقيات وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة . ومنها رسالة في التصوير عند العرب نشرت في مجلة الهلال ولكن زاد فيها زيادات عظيمة . ومنها الامثال العامية وهي نحو خمسة آلاف مثل عامي . ومنها لعب العرب . ومنها نقد القسم التـاريخي لدائرة معارف فريد وجدي وطبقات المهندسين جرى فيه على نسق طبقات الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة . ومنها ذيل طبقات الاطباء . كان يجمع مواده و يكتب مذكرات عن مصادره ولا نظنه تمكن من إتمامه (مجلة الزهراء م٥ ج ٧ — ٨ ص ٥٦٥) .

ومن رسائله التي لم تطبع : الآثار النبوية ، ومفتاح الخزانة خزانة البغـدادي وهي ثلاثة عشر فهرساً ، ومما طبعه رسالة في اليزيدية وأُخرى في حدوث المذاهب الاربعة وثالثة في تاريخ العلَم العثماني ورابعة في قبر السيوطي وخامسة في تصحيح لسان العرب وسادسة في تصحيح قاموس المحيط وسابعة في ابي العلاء المعري وعقيدته وثامنة في الحلقة المفقودة من تاريخ مصر . ومن أهم ما عاقه عن نشر كثير من تآليفه ميله الى التحقيق واشباع الموضوعات حقها او تحاميه احياناً من الدخول في مآزق لا تسمح له تربيته بالتورط فيها . فقد كتب بشأن رسالة التصوير ما نصه : « اما التصوير فكنت كتبت مقالة عنه عند العرب في الهلال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٧ — ٥١٣ — ٦٠١) وربما كان فيها مايفيدكم ولكن هذه المقالة أصبحت لاشيءً جنب ما جمعته بعد ذلك في رسالة خاصة أتممتها وأعددتها للطبع تمنعني من طبعها الآن ان ذكر العرب حتى نبيهم عليه الصلاة والسلام بخير أصبح معدوداً عند عامتنا ومن على شاكلتهم عنواناً لبغض الكماليين فأخرت الطبع خوفاً من الإهانة . وقد اطلع على هذه الرسالة صديقنا الاستاذ جرينيي فأعجبته وشدّد عليّ في سرعة اظهارها فذكرت له عذري في تركها الآن » . اما مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في موضوعات علمية وأدبية وتاريخية ولغوية فانها لو جمعت لجاء منها مجلدان لطيفان نافعان . فعسى ان تصح همة نجليه الفاضلين اسماعيل بك ومحمود بك على ان ينشرا ماخلف الفقيد العظيم من نفثاته وتحقيقاته خدمة للعلم وتخليداً لذكره في العالمين .

تعصبه للاسلام والعربية

كان احمد تيمور متعصباً للعرب والعربية والاسلام ، يهتم لذلك اهتمامه لأقدس شيء لديه ، وكان اذا شمّ من بعيد رائحة من شخص يريد السوء بمقدساته هذه او يكتب فيها كتابات بعيدة عن مواطن الحقيقة يستعديه و يبتعد عنه ، و يتأفف في باطنه منه ، ولما شاعت دعوة انصار القديم والحديث في مصر ، آلى على نفسه ان لا يطالع من الصحف الا جريدة الاخبار للمرحوم امين الرافعي لان صاحبها متدين يدافع عن الاسلام والمسلمين ، فلا يقرأ فيها ماتنقبض له نفسه مع انه من أوسع الناس صدراً . وكتب في هذا الشأن يوم (١ جمادى الاولى ١٣٤٦) : « ومن نكد الايام اني لم أزل ممنوعاً من المطالعة والاشتغال بامر الاطباء حتى ضاقت الدنيا في وجهي وساءت اخلاقي لاني لم اتعود الجلوس في الملاهي ولا أدري كيف أقضي اوقاتي مع هذا الحجر . وقد منعوني ايضاً من مطالعة الجرائد التي لا تروق لي خطتها ولا تتفق مع مشربي فحصرت أقتصر على مطالعة جريدة الاخبار لانها توافقني ولا سيما في المدافعة عن الاسلام والانتصار له ومقاومة الالحاد المعبر عنه في لسان هذا العصر بالجمود او الرجعية ولا حول ولا قوة الا بالله » .

ولما تعرض بعض اصدقائه للنيل من المأمون (واسطة عقد الخلفاء ونخر الامة العربية) اخذ يعالجه بالوسائط المنوعة كما يعالج الطبيب المريض حتى اعتدل وعاد للانتصار للعرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومدنيتهم « فكتب نبذة في الاهرام نصحه في آخرها ان يعيد سيرته الاولى التي لم ينل شهرته الا بها » . وله مع صديقه هذا مناقشات في الصحف والمجالس لانه يبرر عمل الكماليين في نزع الخلافة مما لا يتسع له هذا المقام . وكان غضب تيمور من صديقه هذا مما لا يستكثر من غيور على الاحتفاظ بمقدسات أمته . ولما ألّف الاستاذ علي بك عبد الرازق كتابه في الاسلام واصول الحكم خالفه تيمور في اجتهاده وتألّم لما كتب الماً شديداً . وكتب لي بصف هذه الفتنة ويستحسن أقوال من ناقشوا المؤلف في موضوعه . ولما رأى انني تصديت لنقد كتب بعض انصار التجدد في مجلة المجمع العلمي طرب واغتبط ، وتألم لما قرأ تقريظاً لي لبعض نبغائهم ، لكن ادبه حال دون التصريح بذلك .

كتب مرة (٢ شعبان ١٣٤٣) : واني من رأيكم في اقتدار الشيخ ... وجودة أسلوبه وعدم الموافقة على بعض آرائه المتطرفة وخصوصاً عن العرب وآدابهم فانه كثير الغض منهم في كل شيء ومن دواعي الأسف ان هذه الآراء السخيفة تنشر اليوم بسرعة بين الناشئة حتى صار من المضحكات عندهم التحدث ببلاغة القرآن او بفضل العرب انا لله وانا اليه راجعون . وسيدي حفظه الله أعرف مني وأسد رأياً في أسلوب الرجل وغاية ما يظهر لي مع إعجابي به كثرة التكرار في بعض المواضع والظاهر انه يتعمده لانه يستحسنه و يظن انه طريقة جديدة تروق للقراء ..... » . بل ان احمد تيمور كان يتألم لاقل من هذا اذا كان فيه العبث بمشخصات الامة ، فقد جاء في رسالة في (٢٠ آذار ١٩٢٤) : لما كانت لجنة عمل الدستور مجتمعة في العام الماضي وشاع انها ستسمى المجلسين بالبرلمان قدم لها بعض الفضلاء ومنهم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندري عضو مجمعنا اقتراحاً بتسميتها بدار الندوة فعارض بعض اعضائها في ذلك وكان المشايخ المعممون منهم أشد معارضة وعلى هذا سمي اكبر مظهر من مظاهر استقلالنا باسم أعجمي مع وجود الاسم العربي عند العرب من زمن الجاهلية ولله الأمر من قبل ومن بعد » .

عطفه على من يعطف على العربية

ولقد كان على أعصبه لامته ودينه وقوميته وعربيته متساهلاً مع من يخالفونه في معتقده ، ولطالما خرج أمثاله من مجلسه وهما رأوا من عنايته بهم ، خصوصاً اذا كانوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المشتغلين بالعلم والادب ، ما اطلق السنهم بشكره ، وعقد قلوبهم على حبه ، واورثهم حسن الظن بهدى دينه وتاريخ أُمته ، وايقنوا ان الرجل قد يتعصب لشخصانه ولكنه يريد الخير كله لمن يوافقونه من بعض الوجوه على ما تشبعت به نفسه و يحكموا على مايرون بالمعقول والمنطق . ولقد اقترح على المجمع العلمي ان يضم اليه الاستاذ اسعد داغر لانه خدم اللغة العربية . وشق عليه ما نال الاستاذ الاب انستاس ماري الكرملي يوم غضب عليه رؤساؤه في ديره ببغداد وقضوا عليه ان يذهب للاعتكاف في دير لهم في جبل الكرمل متخلياً عن كتبه وتآليفه ، وسعى للافراج عنه ليرجع الى بلاده وحتى لاتحرم اللغة نفثات قلمه ولا سيما من معجمه الفرنسي العربي الذي اقام على تأليفه زهاء ثلاثين سنة . واودعه من الفصيح كلمات كثيرة نحن في اشد حاجة اليها ، ساءه لما حل بصديقه (لما كان لهذا العلامة من الآثار النافعة في اللغة) . ولقد خدم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انواع الخدم العلمية لانه ابقن انه يخدم اللغة العربية بابحاثه . وكل من يخدم اللغة والعلم هو حبيبه . ولقد اعجب مرة بمقالة للاستاذ انيس سلوم في التعريب نشرت في مجلة المجمع فكتب في (٢٥ صفر ١٣٤١) « فاني ماكدت آتي عليها حتى علمت ان للعربية انصاراً وان قل عديدهم وان لطف الله لم يزل حافاً بهذه اللغة بعد ان كنت في يأس عظيم من انهاضها لا ارى فيها الا استجابة دعوة جرول في قوله لامه :

جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقّيت العقوق من البنينا

كما رآها من قبلي ابو العلاء في الدنيا ... » .

كتبت اليه مرة اوصيه باحد اصدقائي من رجال فرنسا الاستاذ المستشرق السيد اميل بيات وكان يريد ان يزور الازهر ويتعرف الى القاهرة من طريق العالمين لا السياسيين فأدهشه بما اطلعه عليه ومن عرفه اليهم من رجال العلم وماأغدق عليه من ضروب الاكرام حتى جاوز كلام صديقي بعد انقلابه الى بلاده في شكر احمد تيمور حداً عجيباً وبهذه العناية بالموصى عليه و بامثاله من ابناء الشرق وابناء الغرب ابان فضل مصر وفضل ابنائها على العلم ، وبلوغهم درجة عالية من الحضارة والثقافة ، و بالتالي اورث بعمله حسن الظن بالمسلمين عامة والشرق خاصة . وهذه هي الوطنية الحقة ولو كثر هذا العدد من دعائنا على هذا النحو ، لتعريف الغرب بفضل الشرق ، لما اساء بعض الغربيين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الظن بنا وبمجتمعنا ولما صغروا من شأن مدنيتنا في الغالب تصغيراً قائماً على الهوى والجهل معاً .

آخرة المترجم

قلّ ان تمت لسعيد سعادته ، وبينما كانت السعادة ترفرف ظلالها على دار احمد تيمور ، وقد تزوّج من امرأة فاضلة وهي كريمة المرحوم احمد رسيد باشا احدوزراء مصر فولدت له ثلاثة أولاد اسماعيل ومحمد ومحمود فتعلقت ارادة المولى ان يفقد زوجته وهو في التاسعة والعشرين من عمره (ولد سنة ١٢٨٨ هـ وتوفيت زوجته سنة ١٣١٧) فلم يرض ان يتزوّج ثانية وقال لي وانا أحثه على الزواج : المسألة معقدة من وجهين الاولى انه يتعذر وجود زوجة تشبه أم الاولاد بعقلها وأدبها وصيانتها ، والثانية انني أخاف على اولادي من خالة تنغص عليهم عيشهم . وكان كما أراد فعاش أرمل متبتلاً ومثال الوقار والصون والعفاف .

وكان المترجم متديناً تديناً حقيقياً ولم يعرف عنه انه ترك صلاةً ولا صوماً ، وحج مرة كما زار اوربا مرة وزار الشام مرة والاستانة مرة ، وكان القرآن يتلى ابداً في داره وفي عزبته وفي ذهبيته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والحكماء تردد في ناديه ولم يعهد ان غشيه أرباب المساخر والملاهي اومال يوماً الى مصاحبتهم ، بل كانت اوقات فراغه كلها مصروفة في الجد يتخللها بعض المزاح المقبول مع خاصة أصحابه وكان اذا اتفق ان القى احد المختلفين اليه كلمة هجر يتصامّ عنها ويلوي وجهه وربما احمر خجلاً كأنه هو الذي قالها . ولو كان حظ خاصة المصريين من الجد حظ هذا الرجل العظيم لبلغت مصر في مدنيتها شوطاً أوسع من الشوط الذي بلغته .

ولقد عني بتربية بنيه التربية الحسنة وعلمهم العلوم العالية لكن أصيب منذ عشر سنين بفقد ثاني أولاده محمد ، وكان من أرقى شباب مصر علماً وادباً وجمالاً وكمالاً وجواب تعزيتي له قوله في (١٣ رجب ١٣٣٩) : « فشكراً لسيدي الاخ الاعز على ما تفضل به من مؤاساتي في مصيبتي العظيمة التي هدّت ركني ونغصت عليّ مابقي من ايامي » وكان كما قال لا يكاد يتجه بعدها نحو الصحة حتى ينعكس وأصبح اكثر الأحيان من المتشائمين لا المتفائلين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يزيد ذلك كلما تراجعت صحته وأيقن بقرب منيته . كتب (١٩ يوليه ١٩٢٤) : « وقد أشار عليّ طبيبي حينما استدعيته امس بالسفر الى اوربا وعين لي بلدة بالمانيا يقصدها المرضى بالقلب فلم أقبل لاني لا أستصوب السفر الى مثل هذه الديار وانا مصاب بمرض خطير بل أفضل البقاء بين ولديّ وأحب ان لا أتعبهما في موتي كما لم اتعبهما في حياتي » .

نعم كان العقد السادس من حياة عظيم العلماء ونابغة المصر بين حياة نغص وغصص ، ومع هذا كان لا يضن بوقته على افادة قاصديه ، ويكلف صحته اكثر من طاقتها لنفع الناس وكان خاصة اصحابه يمتنعون عن مراسلته او زيارته ، لئلا يكلفوه في قضاء الواجب نحوهم ماقد يضر بصحته ، حتى ناداه ربه الى جواره في صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٨ (٢٦ ابريل ١٩٣٠) فكان لمنعاه في مصر والبلاد العربية وفي مجامع علماء المشرقيات في الغرب رنة أسى وحسرة وذكره الناس بالرحمة وعزى بعضهم بعضاً على فقد رجل الاسلام والعرب . وشمل الحزن عامة الطبقات المفكرة رحمه الله عداد حسناته للعربية والعروبة وانا لله وانا اليه راجعون .

ايها السادة : هذا ما عرفته من حياة صديقي الذي عددت فجيعتي به من اعظم الفاجعات ، وعلم الله انني ماالقيت عليكم من صفاته الا ماثبت عندي ثبوت الشمس والقمر ، ولم أحاول ان اكتب فيه سطراً الا بعد ان انفثأت بعض سورة الحزن عليه ، وعسى ان يسعني عفوكم فتسبلوا ذيل المعذرة على ذكر اسمي ، خلافاً لعادتي ، مقروناً الى اسمه الكريم في هذه المحاضرة ، بيد اني لم أر لي مخلصاً من ذلك ، لان المسألة مسألة ذكريات شخصية لا بدّ فيها من ذكر الفريقين ، والله يرحمنا و يتولانا بمعونته .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحاضرة الرابعة

وطن الجاحظ[1]

—«»—

لئن أنبتت (خد العذراء) أباالطيب المتنبيء جبار الشعر على ترادف الايام فأي بقعة من بقاع الارض أنبتت اباعثمان الجاحظ جبار النثر في قديم الدهر وحديثه .

يقول كاتب من بلغاء الكتاب الفرنسيين في الشاعر (دي فيني) : لا يقرأ احد شعره ولكن الناس كلهم يعرفون اسمه ، فما ألصق هذا القول بالجاحظ نفسه ، كلنا نعرف اسمه ولكن هل نقرأ كلنا كتبه ، هل نعرف حياته على الوجه الذي نريده في عصرنا هذا .

ولئن فاتنا مانريد من هذه المعرفة فلنعمل في استقصاء في ما لم يفت .

كنت أقرأ وانا أهيء هذا الكلام كتاباً يبحث عن (فرجيل Virgile [2]) شاعر ايطالية ولد هذا الشاعر سنة ٧٠ قبل السيد المسيح فلم يغفل الكلام على القرية التي ولد فيها ، لم يغفل الكلام على محاقلها وعلى طيرها وعلى سواقيها وعلى ينابيع مائها وعلى مراعيها وعلى تعاشيبها وقد اوصى الشاعر الرعيان برعي ماشيتهم في منابت عشبها .

وللامم الغربية مذاهب بعيدة في الحنين الى الاوطان ، وقد انتخب البرت سيم طوائف من الكلم استنبطها من آثار كتاب الغرب وشعرائه واثبتها في مقال عنوانه : المولد وقع

---

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الادب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) فيرجيل بقلم اندره بليسور (André Bellessot) الصفحة ٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه نظري في « المجلة العالمية La revue mondiale » وقد استخرجت من هذا المقال شيئاً من الكلام اذكره على سبيل الايجاز :

لما نفي اوفيد الشاعر اللاتيني الى شواطئ البحر الاسود خرج من دياره وهو يلتفت الى رومة وبوادي وطنه سولمون ويقول : لاادري اي رونق لهذا الوطن حتى ملك علينا حواسنا فلا نجد سبيلاً الى نسيانه على وجه الدهر .

وكذلك فيرجيل شاعر اللاتينيين ، فانه لم ينس مولده البائس مدينة مانطو كل حياته ، ولا ذهل هوراس عن بقعة ارضه الباسمة .

قال فنلون في قصيدة له : مهما ضربتُ في مناكب الارض ، فان البقعة التي رزقت فيها الحياة تلذ الاقامة بها وتضحك لي جواؤها اكثر من كل بقعة .

وذكر روسو ايامه التي قضاها في قرية بواسي على مقربة من جنيف فقال : وما فتئت منذ طوبت شرخ الشباب ووخطني الشيب اشعر بان ذكرى بواسي تتوقد في خاطري على حين انسى صور غيرها من الذكر وتستقر في حافظتي استقراراً يشتد على تراخي الحقب ، فكنت كمن احس بدنو اجله فطلب السبيل الى الحياة بتذكر اوائلها واصغر حوادث تلك الايام يحلو في عيني لانه من تلك الايام .

وانك لتجد العواطف نفسها في كلام لبرناردن دي سان پيير قال : اني افضل باديتي على سائر البوادي ، ولا اؤثرها لجمالها ولكنني ربيت ونشأت في آفاقها . . ما اسعد الذي يعود الى الديار التي جعل كل شيء فيها محبوباً .

ولما عاد الجنرال دي برسول من وقعة روسية وهو مثخن بالجراح رأى مولده فصرخ : انا من اوفيلار ! قريتي قبل كل شيء . .

قال لامارتين وقد ذكر وادي ما كونه وهو يحبه حباً جماً : هذا مسكني منذ الصبا ! سلام على ربيعه وصيفه وخريفه وشتائه ، واهاً لي ! تستحثني تصاريف الدهر في كل خطوة خطوها فلم اعد الى هذه الديار الا لانزه فيها ساعات قلائل فاقيس الشجرات التي غرستها لادفن في ظلالها واصلي في جوار قبرين يسيراً من الزمن . .

وكتابات اسكندر دوماتنم عن نزاعه الى تربته وتشتمل على وصف جميل لكل مايحس به في عودته الى فيللر كوتره قال في جملة كلام له : دع هذا المولد الذي انشأ في اعماق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قلبي ذكراً ثابتة يجتذبني اليه فكلما دنوت من الموت يشتد هذا الاجتذاب فكأن الطبيعة قد جعلت الانسان يفرح بالبحث عن لحده في ظلال مهده .

وقال في مقام آخر : صرفت ثلاثين سنة من عمري في العمل والنزاع حتى سلبني الدهر رونق ايامي وشرخ شبابي ومع هذا فاني انبسط الى هذه القربة الصغيرة التي لا يعرفها احد في العالم وقبل وصولي اليها انزل من العربة فاحصي الشجر واجلس الى بعضه فاغمض عيني واتذكر اموراً مضى عليها عشرون سنة وفي جملة هذا الشجر شجرات نزلت مني بمنزلة الاصدقاء القدماء وفي جملتها شجرات غرسها غيري فأمر بها ولا ابالي كما امر برجال لا اعرفهم ولا يهمني معرفتهم .

وقال كراسزوسكي البولوني مخاطباً مولده :

ايتها الارض الجميلة التي تحتفظين بذكرانا بعد انقضاء الاجل !

ايتها الارض العذبة التي حنوت علينا في قديم الدهر !

اننا نودع خلطاءنا ونحن نأمل لقاءهم في السماء ، ولكننا اذا ودعناك لا نرى ابداً بعدك ضياعك المحبوبة ، وديارك وجداولك ، وربيعك وصيفك ، وخريفك وشتاءك وسائر ما رسخت صوره في اذهاننا في عنفوان الشباب .

كيف تكون عنادلك ، وازاهرك وغدواتك وروحاتك ؟

اترحب بنا السماء حتى ننسى من اجلها كل شيء قديم ؟

ومثل هذا الكلام كثير في آثار الافرنجة اجتزيء بالقدر اليسير منه تفادياً من التطويل .

قرأت هذا كله فقلت في نفسي : ما الذي نعرفه من وطن الجاحظ ما الذي نعرفه من الجاحظ نفسه وهو أذهب أدبائنا شهرةً وأبعدهم صيتاً ، هل يتيسر لنا ان نبعث هيأته من مرقده حتى نحيط باسرار عبقريته بحذافيرها .

مالنا وهذا اليأس فان الفرح بمحادثة رجل مثل الجاحظ بعد ان اتى عليه احد عشر قرناً وهو هادىء في ترابه مطمئن في قراره يكاد ينسينا الالم الذي نألمه في فوات ما فات من جميع امره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في سنة اربع عشرة كتب عتبة بن غزوان كتاباً الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وقال : لابد للمسلمين من منزل اذا اشتاشتوا فيه واذا رجعوا من غزوهم لجؤا اليه فكتب اليه عمر ان ارتد لهم منزلاً قريباً من المراعي والماء واكتب اليّ بصفته فكتب الى عمر : اني قد وجدت ارضاً كثيرة القَضّة في طرف البر الى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء . ولما وصلت الرسالة الى عمر قال : هذه ارض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب فكتب اليه ان انزلها فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار امارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها : رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمّام الامراء فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان .

ففي هذه الارض التي مصّرت على زمن عمر بن الخطاب ولد الجاحظ وقدسموها : البصرة ، واذا قالوا : البصرتان عنوا بقولهم الكوفة والبصرة ، ومن فرط اهتمامنا بالجاحظ لزمنا ان نعرف كل شيءٍ يختص به حتى معنى الارض التي شرب من مائها واكل من طعامها ونشق من نسيمها واستظل بظلها فانبلج من أفقها نوره ودرج من أفيائها شعوره فكان لنا معاشر العرب من هذه العبقرية الوهاجة مفخرة نفخر بها على تراخي الاحقاب .

ولقد اهتم الافرنجة بمعاني بقاعهم الاهتمام كله ولم يكن اهتمامهم بمثل هذه الامور على سبيل اللهو او على سبيل العبث وانما رموا في هذه المذاهب مرامي أبعد فان لفهم اشباه هذه المعاني عملاً جليلاً في حمل القلوب على الارتباط باوطانها ، وآخر ماقرأته في هذا الباب مقال عنوانه : سواقي فرنسة [1] ، فليت ان في ادبنا أمثال هذه المقالات التي تنشيء في النفوس محبة الاوطان فبعد ان وصف الكاتب الساقية على وجه عام وأتى على ذكر ماتضمنته من اغاريد وابتسامات وتكلم على رفيف الضحى وعلى عبوس الليل في احفتها ، بعد ان تبسط في هذا الوصف على اساليب شعرية رجع به القول الى الكلام على الساقية

(١) كتاب النزه الأدبية لصاحبه (Remy de gourmont) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فنفخ فيهـا روحاً واخذ يفسر الاسماء التي أطلقوها على سواقي فرنسة وقد جاءتهـا هذه الاسماء من الامم التي نزلت بفرنسة في القديم من السنين ثم ختم مقاله بهذا الكلام :

هذا آخر عهدي بمئات سواقينا فليتني لم أقطع الكلام عليها فاني أجد الماً في قطع هذا الكلام لان الساقية ام الطبيعة .

* * *

فلنبحث عن معاني البصرة لعل معرفة هذه المعاني تزيد في مقدار اتصالنا بالوطن الذي أخرج للناس أمثال الجاحظ .

البصرة ومعناها في كلام العرب على ماقال ابن الانباري الارض الغليظة .

وقال قطرب : البصرة الارض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب .

وقال غير قطرب : البصرة حجارة رخوة فيها بياض .

وقال ابن الاعرابي : البصرة حجارة صلاب قال : وانما سميت البصرة لغلظها وشدتها كما تقول : ثوب ذو بصر وسقاء ذو بصر اذا كان شديداً جيداً .

وذكر الشرقي بن القطامي : ان المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا اليها من بعيد وابصروا الحصا عليهـا فقالوا : ان هذه ارض بصرة يعنون : حصبة ، فسميت بذلك .

وذكر احمد بن محمد الهمداني حكاية عن محمـد بن شرحبيل بن حسنة انه قال : انما سميت البصرة لان فيها حجارة سوداء صلبة وهي البصرة .

وقال حمزة بن الحسن الاصبهاني سمعت موبذ بن اسوهشت يقول : البصرة تعريب بس راه لانها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها الى اماكن مختلفة .

وفي اللغة اسباب لتسميتها غير هذه فالمجمع عليه ان في البصرة معنى الشدة والصلابة فكأنما اوحت الى ابي عثمان صلابة القول وشدة اسره .

فما الذي تركه الجاحظ لنا من آثار هذه الشـدة ورسوم هذه الصلابة ما الذي تركه لنا من آثار وطنه وهو الذي يقول في الحنين الى الوطن : « وانت لوحوّلت ساكني الآجام الى الفيافي وساكني السهل الى الجبال وساكني الجبال الى البحار وساكني الوبر الى المدر لأذاب قلوبهم الهمّ ولأتى عليهم فرط النزاع . وقد قيل : عمر الله البلدان يحب الاوطان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى : ليس الناس بشيء من اقسامهم افنع منهم باوطانهم . وقال معاوية في قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد ان انزلهم من الشام منزلاً خصيباً وفرض لهم في شؤون العطاء : يصلون اوطانهم بقطيعة انفسهم ، وقال الله عز وجل : ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليلاً منهم . فقرن الضن بالاوطان الى الضن بمهج النفوس » .

فان الذي يقول مثل هذا القول و يشعر مثل هذا الشعور انما هو عالم بمنزلة الوطن من القلوب فلننظر في مقدار حنين الجاحظ الى وطنه ماهي الآثار التي خلّفها لنا من هذا الحنين ، ماهي طبيعة هذه الآثار .

نظر الجاحظ الى عيوب تربته ولم ينظر الى فضائلها فقال :

« من عيوب البصرة اختلاف هوائها في يوم واحد لانهم يلبسون القمص مرة والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الساعات ولذلك سميت الرعناء فقال الفرزدق :

لولا ابو مالك المرجو نائلـه ماكانت البصرة الرعناء لي وطنا »

فلم ينظر الجاحظ الى تربته نظرة شاعر مولع بالوان هذه التربة كلف بمشاهد طبيعتها وانما نظر اليها نظرة العالم الذي يريد ان يبحث عن اصل كل شيء حتى يعرف المورد والمصدر والمدخل والمخرج وهذا من خصائص عبقريته ومن طبيعة عقله . ولقد تجلت هذه الخصائص وهذه الطبيعة في كلامه على اعجوبات البصرة قال :

بالبصرة ثلاث اعجوبات ليس في غيرها من البلدان منها ان عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم اليه و يرتد عند استغنائهم عنه ثم لا يبطيء عنها الا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها لايقتلها عطشاً ولا غرقاً ولا يغبها ظمأ ولا عطشاً يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه فلا يخفى على اهل الغلات يتخلفون ومتى يذهبون و يرجعون بعد ان يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر فهي آية واعجوبة ومفخر واحدوثة لا يخافون المحل ولا يخشون الحطمة . والاعجوبة الثانية ادعاء اهل انطاكية واهل حمص وجميع بلاد الفراعنة الطلسمات وهي بدون ما لاهل البصرة وذاك ان لو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التمست في جميع بيادرها وربطها المعودة وغيرها على نخلها في جميع معاصر دبسها ان تصيب ذبابة واحدة لما وجدتها الا في الفرط ولوان معصرة دون الغيظ اوتمرة منبوذة دون المسناة لما استبقتها من كثرة الذبان .

والاعجوبة الثالثة ان الغربان القواطع في الخريف يجيء منها ما يسود جميع نخل البصرة واشجارها حتى لا يرى غصن واحد الا وقد تأطر بكثرة ما عليه منها ولا كربة غليظة الا وقد كادت ان تندق لكثرة ما ركبها منها ثم لم يوجد في جميع الدهر غراب واحد ساقط الا على نخلة مصرومة ولم يبق منها عذق واحد ومناقير الغربان معاول وتمر الاعذاق في ذلك الابان غير متماسك فلو خلاها الله تعالى ولم يمسكها بلطفه لاكتفى كل عذق منها بنقرة واحدة حتى لم يبق عليها الا اليسير ثم هي في ذلك تنتظر ان تصرم فاذا اتى الصرام على آخرها عذقاً رأيتها سوداء ثم تخللت اصول الكرب فلا تدع حشفة الا استخرجتها فسبحان من قدر لهم ذلك واراهم هذه الاعجوبة . »

من هذا كله يتبين لنا ان الجاحظ في الحنين الى الوطن انما ينظر الى بقعة ارضه نظرة العالم المدقق على ان قلبه لم يخل من نزاع الى وطنه وانما ذهب في هذا النزاع مذهباً بعيداً فجاز من وطنه الاصغر الى وطنه الاكبر فمن بعض كلامه :

« وانا اقول في هذا قولاً وارجو ان يكون مرضياً ولم اقل : أرجو ، لاني اعلم فيه خللاً ولكني اخذت بآداب وجوه اهل دعوتي وملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي وهم العرب » .

اني ارى في هذه الكلمات عروبية واضحة ووطنية صادقة فما اعذب قوله : ملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي ! وما اعذب هذه اليآت كلها ! فانها تدل على ولع صاحبها بقومه وكلفه بوطنه ولهجه بلغته اني ارى فيها صورة الرجل الذي جعل من جزيرة العرب ومن لغتهم ملكاً خاصاً به يرتبط بهما قلبه ولسانه .

ومع هذا كله لم يصور لنا الجاحظ وطنه فاذا اردنا ان نعرف شيئاً من صورة البصرة في القديم لزمنا ان نستعين بغير الجاحظ .

فمن الذين وصفوا البصرة خالد بن صفوان ، وصفها لعبد الملك بن مروان فقال : يغدو قانصنا فيجيء هذا بالشبوط والشيم ويجيء هذا بالظبي والظليم ونحن اكثر الناس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عاجاً وساجاً وخزاً ودِباجاً و برذوناً هملاجاً وخريدة مغناجاً بهوائنا الذهب ونهرنا العجب اوله الرطب واوسطه العنب وآخره القصب فاما الرطب عندنا فمن النخل في مبـاركه كالزيتون عندكم في منابته هذا على افنانه كذاك على اغصانه هذا في زمانه كذاك في ابانه من الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل يخرجن اسفاطاً عظاماً واوساطاً ضخاماً وفي رواية يخرجن اسفاطاً واوساطاً كأنما ملئت رياطاً ثم ينفلقن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الابيض ثم تتبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الاخضر ثم تصير يافوتاً احمر واصفر ثم تصير عسلاً في شنة من سحاء ليست بقربة ولا إناء حولها المذأب ودونها الحراب لا يقر بها الذباب مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهباً في كيسة الرجال يستعان به على العيال ·

واما نهرنا العجب فان الماء يقبل عنقاً فيفيض مندفقاً فيغسل غثها و يبدي مبثهـا يأتينا في اوان عطشنا و يذهب في زمان ريّنا فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا فيقبل الماء وله عباب وازدياد ولا يحجبنا عنه حجاب ولا تغلق دونه الابواب ولا يتنافس فيه من قلة ولا يحبس عنا من علة ·

واما بهوائنا الذهب فان لنا عليهم خرجاً في السنين والشهور نأخذه في اوقاته ويسلمه الله تعالى من آفاته وننفقه في مرضاته » ·

ليت هذا الوصف قد جرى به قلم الجاحظ نفسه واظن اننا لا حاجة بنا من بعده الى معرفة شيء من صورة البصرة وانما يلزمنا ان نعرف ان في البصرة نشأ النصيب الاوفى من عبقرية العرب فكان لهذه البقعة من شعر العرب ولغتهم وادبهم ونحوهم الحظ الاوفر فلا نذكر البصرة الا تمثل لنـا بشار بن برد والسيد الحميري وسلم الخاسر وحسين بن الضحاك وصالح بن القدوس والرقاشي والرياشي وغيرهم من الشعراء على اختلاف طبقاتهم واي تربة افضل من تربة سقى ماؤها وغذى هواؤها وادفأت شمسها رجالاً تبسط سلطانهم في عالم الطبيعة وفي عالم العاطفة فكان للطبيعة وللعاطفة من شعرهم مرآة مصقولة الجوانب مرة تعكس لنا اشكال الالوان على تباين كمدتها وصفائها ومرة تمثل لنا صور العاطفة على اختلاف دقائقها ·

ولا نذكر البصرة الا تخيل لنا الاصمعي وابو زيد الانصاري وخلف الاحمر والخليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن احمد والنضر بن شميل وقطرب وغيرهم من المحافظين على لغة العرب المرامين دون حياضها واذا قلنا : لغة العرب تصورت لنـا هذه المادة التي اعانتهم على الافصاح عن نتائج عاطفتهم وشعورهم وعن ثمرات خواطرهم وعن مذاهب حضارتهم وعمرانهم وعن اساليب سياستهم وسيرتهم فكان في هذه الالفاظ المجموعة في كتاب واحد صورة ناطقة تعرب لنا عن ظواهر العرب وبواطنهم .

وفي البصرة نشأ سيبويه والمازني والى البصرة ينتمي المبرد وابن دريد فمن هذا كله يظهر لكم ان معظم عبقرية العرب في الكوفتين فاذا نبتت على ضفاف بردى عظمة العرب وما اشتملت عليه هذه العظمة من منازع قومية فعلى ضفاف الرافدين دجلة والفرات طلع فكر العرب وشعورهم وللجاحظ نصيب غير يسير من هذا الفكر ومن هذا الشعور .

دمشق : في ٢٠ كانون الاول ١٩٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ادبنا القومي

- ٣ -

بين القديم والجديد

ابتدأ الشعور الصادق بازمة اللغة العربية في مصر من يوم دلفت اليها علوم الغرب الحديثة على يدي محمد علي الكبير . ولقد حدثتك في مقال سابق انه استعان على الترجمة بين اساتذة الطب الغربيين وبين طلبتهم من المصريين او المتمصرين بجماعة من النازحين الى مصر من المغاربة ومن بلاد الشرق القريب ، فكانوا يؤدون الى هؤلاء بالعربية او بما يشبه العربية مايلقيه اولئك باللغات الغربية . فكان هذا اول مجهود بذل في هذا الباب . واذا لم يكن قد انتج كثيراً ، او لم يجر على وجه الدقة فالعذر لهؤلاء السابقين قائم ، وسعيهم مشكور على كل حال .

وظلت الحال على هذا الى ان عاد من الغرب رفاعة وقرناؤه ، واتسعت رقعة العلم الحديث في مصر بما اقيم من المدارس في فنون الحياة المختلفة ، وقويت الحاجة الى التماس صيغ العربية ومفرداتها تؤدي بها علوم العصر الحديث . فلم يتعاظمهم الامر ولم يخذل من عزائمهم ، بل لقد جرّدوا هماً لتزلزل الجبال ولاتتزلزل ، فأقبلوا على معاجم اللغة وجعلوا ينغضون منها كل لفظة تؤدي معنى مما بين ايديهم ، كما أقبلوا على الكتب العربية في العلوم والفنون المختلفة مؤلفة ، ومترجمة عن اليونانية وغيرها ، فاستخرجوا منها شتى المصطلحات الفنية وأطلقوها على ماوقع لهم من المصطلحات في اللغات الاجنبية . فاذا قام لهم بعد هذا جديد من المعاني في لغات الغرب فلم يجدوا له من قديم صيغ العربية مايترجم عنه عاذوا بالتعريب . فعمدوا الى الكلمة الاجنبية فأطلقوها بعد ان يهذبوها بما يسيغها في لسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية . وبعد ان كان الامر في صدر النهضة مقصوراً على الترجمة فقد ثمر العلماء المصريون للتأليف فأخرجوا من الكتب والرسائل مؤلفة ومعربة مالا يحصى كثرة في الطب والهندسة والحساب والفلك والطب البيطري والزراعة والتعدين وغيرها مما زخرت به العربية على الرغم مما كان يشوبه من المعرب والدخيل والركيك . والا فكيف كانت الحيلة في أداء علوم الحياة للمصريين ؟ ما احسب احداً يزعم ان الواجب عليهم كان ان يتربصوا بالعلم حتى يأذن الله فيخرج لهم من خالص العربية مايدل على كل ما كان وما سوف يكون .

ولعل الحرج السياسي في مصر في مؤخرات عهد اسماعيل ، ثم في تهيؤ البلاد للفتنة في عهد توفيق قد خذل من قوائم هذه النهضة « اللغوية العلمية » وان لم يخذل في النهضة الادبية ثم كانت القارعة الكبرى بالاحتلال الانجليزي ، ثم تعمد المسيطرين منهم على التعليم بسط العلوم على التلاميذ باللغة الانجليزية . ولا يذهب عنك ان ادامة هذا السنين الطوال قد كاد يقطع ، ثانياً ، الصلة بين العربية ومصطلحات العلوم الكونية : ولسوء حظ العربية لقد كانت هذه الفترة هي اشد فترات التاريخ ازدحاماً بمخترعات الغرب ومستكشفاته في مرافق الحياة . وما زال يرشقنا كل يوم منها بما لا نجد عنه منصرفاً ولا محيداً ، ولا تجد لفتنا عليه مسعداً ولا معيناً !

على انه من جيل مضى قد تعاظم هذا الخطب جماعة العلماء والمتأدبين فانبعثت له طائفة من ائمة اللغة واعلام البيان واقبلوا على كتب اللغة ينكتونها نكتاً ليصيبوا بها ما يمطرنا به العلم الحديث ، فجدوا اشهراً او اياماً ، ولا ادري ما الذي فرق عزائمهم ، فسرعان ما انقبضوا بعد ان اخرجوا بضع عشرة كلمة سار أقلها ومات سائرها ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

على ان جهوداً فردية ظلت مرسلة ، انتج بعضها كثيراً ، وانتج بعضها قليلا . الا انها بكثيرها وقليلها لا تغني في هذا الباب كثيراً !

وعلى ذكر هذه الجهود أحيي بأطيب التحيات وازكاها ذكرى استاذنا الاعظم العالم اللغوي الاديب الشاعر الكاتب حفني بك ناصف عليه رحمة الله . فانني لا أعرف في هذه البلاد من جمع بين خدمة العلم وخدمة الادب وخدمة اللغة ، وخاصة من الجهة العملية مثل حفني ناصف . ويدوم على هذا طوال السنين لا زهو ولا استكبار ، بل انه لتواضع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يشبه الانكسار . وهكذا العلماء لا المتعالمون !

إذن لم يغن كل ما بذل العهد الاخير في مطالب العلم الحديث عند لغة العرب . وكيف الحيلة في هذا الخطب الجسام : ان البلاد تريد ان تتعلم ، وتريد ان تتعلم بلغتها لغة العرب ، وفي الحق انهـا اذا لم ترد هذا فقد خطت بيدها قبراً لا انبعاث لها منه الى غاية الزمان .

وهنـا اذكر لامام الصحفيين المرحوم السيد علي يوسف حكمة له مأثورة : « ان من يعلم الامة بلغتها فانه ينقل العلم اليها . اما من يعلمها بغير لغتها فانه ينقل أفراداً منهـا الى العلم » . ونحن المصريين بحمد الله اشد أنفة واوسع في الحياة مطلباً واعز مطمعاً من ان نقنع بان ينقل افراد منا الى العلم !

وإذن لا بد من حل ، وهذا الحل لا يمكن ان يكون الا باتخاذ احدى طريقتين لاثالث لهما : اما العياذ بالنحت والتعريب وما اليهما من الوسائل الى مط اللغـات حتى تصيب طرائف المعاني . واما الالتجاء الى التعريب بعد صقل الالفاظ الاجنبية وتسويتها حتى تستقيم اللهجة العربية . وذهب قوم من افاضل العلماء الى هذا ، وخالفهم جماعة من أندادهم الى ذاك . ومن ذلك اليوم نشأ في هذه البلاد مايدعى بالقديم والجديد ، ونجم من يدعون أنصار القديم ومن يدعون أنصار التجديد .

نعم ، لقد اتسع بعد هذا معنى القديم ومعنى الجديد اذ اصبح الى تناوله فقه اللغـة . بتناول الادب في نصرفه واساليبه ومطالبه والغاية منه وغير ذلك ، ولهذا شيعة وانصار ، ولهذا شيعة وانصار ، واننا لنعود الى هذا الموضوع بعد اذ نفرغ مما اخذنا فيه من هذا التاريخ لكيلا تختلط الموضوعات و يختل نظم الكلام .

اسلفت عليك ان الخلاف قد انبعث بين من يقولون بالاجتزاء بالنحت والاشتقـاق وما اليهما ، وبين من يذهبون الى التعريب . وقامت المناظرات بين الفريقين ، وعقدت المحافل لشهود الجدل والحوار . فكانت اظهر حجة لهؤلاء ان اللغة العربية قد انقبضت من مئات السنين عن اسباب الحضارة ، ولم تشهد هذه العلوم الحديثة ولا عهد لها بهـذه الوسائل التي يطلع علينا الغرب بها كل حين . فليس من المعقول ان نصيب فيها ما يغني في كل ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن المسلم به اننا في علومنا واسبابنا في الحياة انما نعيش عيالاً على الغرب وعنه نأخذ ، ومنه نستمد وبه نقتدي فلا محيص لنا عن التعريب . على اننا لا نكون مبتدعين اذا نحن عمدنا الى التعريب . فلقد اضطر اليه سلفنا العظام في انضر عصور اللغة العربية وازكى ايامها ، اضطروا اليه في صميم العصر العباسي حين اريدوا على نقل علوم اليونان وآداب الفرس الى لغة الكتاب العزيز ، ولست تشق كتاباً ترجم او أُلف في ذلك العهد في منطق او فلسفة او طب او هندسة او فلك او غيرها ، الا رأيته قد سلك ، في كثير من المواضع ، سبيل التعريب .

وأبلغ من هذا ان العرب في جاهليتهم على غنى لغتهم الهائل وعلى انهم كانوا أجهل خلق الله بالعلوم والفنون ، لم يتحرجوا من ان يقترضوا كثيراً من الالفاظ الفارسية والحبشية وينظموها في صميم العربية .

وكان من أبلغ حجج الآخرين ان التعريب لا يجوز الا للعرب . فهم وحدهم الذين يملكون ان يدخلوا في لغتهم ماشاؤا وان ينفوا عنها ماأرادوا . فكل دخيل بعدهم لا يمكن ان يقال انه من لغة العرب .

على ان السابقين في العصر العباسي وما وليه اذا كانوا قد اضطروا في سبيل الترجمة عن بعض مصطلحات العلوم الى ايراد كلمات اجنبية فما كان ذلك ليدخلها في لغة العرب ، بل انها مازالت تعتبر من لغى اجنبية .

ثم ان العباسيين قد استطاعوا ان يترجموا بالعربية الصحيحة الخالصة علوم اليونان ، وبديه ان وقوع طائفة يسيرة من المصطلحات الأعجمية فيها لا يخرجها عن عربيتها . اما نحن فاذا طرقنا اليوم هذا الباب فسنجد في كل عشر كلمات واحدة عربية وتسعة معربة ، او على الصحيح اعجمية ، اما لانه ليس في لغة العرب مايدل على المعنى الحديث ، واما باستسهال الناس للتعريب عن طول المراجعة والتنقيب ، وفي هذا القضاء كله على لغة الكتاب الكريم .

و يرى هذا الفريق من العلماء ان في ابواب النحت والاشتقاق والمجوز متسعاً لكل ما يعرض لنا من معنى حديث وزادوا على هذا انه اذا تعصت لغة العرب عن اداء معنى طريف بعد ان نفر كل تلك الابواب ، وتنفد الحيل والوسائل ، فواجب ان يلجأ الى مجفوات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغة وما لم يعد يستعمل من مفرداتها فيطلق على ذلك المعنى ، وبذلك تؤدي الغرض من جهة ، ونبعث ميت العربية من جهة اخرى .

ثم يحتدم الجدال ، ويستحر الطعن والقتال ثم اذا الزمن يكر ، واذا الليالي تفر ، واذا اللغة في انقباضها ، واذا المعاني الحديثة ما زالت في اضطرادها ، لا نستدركها على رأي انصار القديم ، ولا نلحقها على رأي اصحاب الجديد .

وقبل ان نجوز هذا الموضع يجب ان نشيد بأثرين كريمين كان لهما حظ في انعاش اللغة العربية بقدر محمود . اولهما ، انه لما ولي المغفور له سعد زغلول باشا وزارة المعارف تقدم بتدريس العلوم المختلفة باللغة العربية ، فنشطت العزائم ، وتضافرت الهمم على التماس ما يترجم من صميم العربية عن مطالب تلك العلوم . وكان من مقتضيات هذه النهضة ان أنشئ في وزارة المعارف قلم للترجمة العلمية ، فاخرج في مختلف العلوم كتباً غير يسيرة ، اذا اعوز بعضها الدقة في حسن الاداء ، فلقد كان لها نفعها على كل حال .

والثاني انه لما تقلد المغفور له احمد حشمت باشا هذه الوزارة والى سعي سلفه العظيم ، واقبل على تشجيع تلك النهضة بتقريب علماء اللغة واذكاء هممهم ، وشق طرائق العمل لهم وبادر فألف لجنة دعيت (لجنة الاصلاحات العربية) يتولى رياستها وزير المعارف ، ووكالتها وكيلها ، ودعا الى عضويتها جماعة من خيرة العلماء : اسماعيل حسنين باشا ، احمد زكي باشا ، حفني ناصف بك ، اسماعيل رأفت بك . الشيخ احمد السكندري وغيرهم .

ولولا حب الجدل ، الذي ابتلينا به نحن المصريين ، لآتت هذه اللجنة اجل الثمار ؛ على انها برغم ذلك قد حققت كثيراً من الاعلام والمصطلحات الجغرافية مازال يؤخذ بها في التعليم الى الآن .

ثم فترت هذه الفورة بعد اعتزال حشمت باشا وزارة المعارف وجرى على تلك اللجنة القضاء المحتوم .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« المجمع اللغوي

ادرك اهل العلم ثانياً ان جهود الافراد لا تغني في هذا الحدث كثيراً ، لان الواقع دل على ذلك اولاً ، ولأن عمل الفرد في مثل هذا لا يُكفَل له الضبط والدقة الواجبان ثانياً ، ولان اثر الفرد لا يلتزم به المجموع ثالثاً ، فتكون النتيجة نتيجة الارتكان على الجهود الفردية ان تختلف الدلالات على المعنى الواحد ، سواء في الالفاظ المفردة او في الصيغ المحبوكة .

ومن هنا التفتت النيات الى وجوب عقد مجمع لغوي يضم اليه افذاذ العلماء واللغويين وكبار الادباء من الشعراء والنقدة والكتاب ، حتى يثمر السعي من جهة الدقة والتجويد ، ومن استراحة جمهور المتأدبين اليه واخذهم به في معالجتهم لالوان العلوم والآداب . ووجهت الدعوة الى صفوة هؤلاء فعلا ، ووجهها الاستاذ احمد لطفي السيد بك (مدير دار الكتب يومئذ) فلبوا ، واجتمعوا ثم اجتمعوا ، ثم انفضوا لا عن شيء وتفرقوا كل مفرق .

وبعد بضع سنين شبت هذه النية مرة اخرى فدعا صاحب العطوفة ادريس راغب بك جماعة من صفوة العلماء والادباء الى عقد « مجمع لغوي » ايضاً . فاجتمعوا واشتعبوا لجاناً تتجرد كل واحدة منها لمطلب خاص ، ثم اجتمعوا وانتضج مسعاهم عن اثر يسير ، لا ادري مصيره اليوم ، ثم انفضوا وتمزقوا كل ممزق .

لم يبق بعد كل هذا بد من احالة الامر على الحكومة فالحكومة قوية بمالها ، قوية برجالها ، قوية بقوانينها . ماتأخذها هوادة في بسطها على موظف فاتر كسول وبعبارة أخرى ، لانجاح « لمجمع لغوي » الا اذا تولته الحكومة فاصبح فرعاً (رسمياً) من فروعها . ولهذا مزية اخرى ، وهي ان الحكومة تستطيع ان تفرض ما يخرجه (المجمع اللغوي) فرضاً في كتب التعليم وفي مكاتباتها (الرسمية) وغير ذلك . وفكر في ذلك الاستاذ علي الشمسي باشا منذ كان وزيراً للمعارف ، واحتفل للامر ايما احتفال ، وراجع فيه الاستاذ احمد لطفي السيد بك (مدير الجامعة يومئذ) والاستاذ احمد حافظ عوض بك وثالثاً . وقدم كل منهم الى الوزير تقريره متضمناً المبادئ الاساسية التي ينبغي ان يقوم عليها بناء المجمع والغاية من قيامه ، وطريقة قيامه بمهمته ، على جهة الاجمال لا التفصيل . وجعل الوزير يفكر بعد ذلك ويتدبر ، وفي خلال هذا التفكير وهذا التدبير تخلت الوزارة عن الحكم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقام على وزارة المعارف بعده الاستاذ احمد لطفي السيد بك فوالى مساعاة سلفه ، وجد في الامر ايما جد حتى اتم مشروع انشاء «المجمع اللغوي» ومشروع ميزانيته على ماروى لي الثقة الصادق ، والعهدة عليه ثم لم يظهر لهذا المجمع «الرسمي» الى الآن (حس ولا خبر) . وهكذا ظلت لغة العرب وحاجة العلم يناشد كل منهما صاحبه قول الشاعر :

أرى ماء وبي ظمأ شديد ولكن لا سبيل الى الورود

ولقد انتهى الي ان هناك ملاحظة قوية قد ارتفعت على مشروع انشاء «المجمع اللغوي» ذلك بان اللغة العربية ليست ملكاً لمصر بين وحدهم حتى يستأثروا بالتصرف فيها ، بل هي ارث مشاع بين جميع الامم التي تنطق (الضاد) . وهيهات ان يكفل لهذا المشروع نجاح الا اذا اشترك فيه مندوبون عن سائر الامم العربية الاخر ، ليجري كل ما يستخرجه المجمع وما يولده على السنة المتكلمين بالعربية في جميع اقطار العالم ولقد يكون لهذا الرأي شيء من الاعتبار بتوحيد جميع الصيغ والدلالات في أقطار العالم العربي ، وان كان هذا برغم الف مجمع ومجمع ، مما يكاد يلحق بالمستحيل . ولكن اليست اقامة مجمع لغوي مصري بحت خيراً من ألا يقام مجمع البتة من اي نوع كان ؟ .

ثم لقد سبقنا اخواننا اهل الشام فألفوا « لهم مجمعاً علمياً لغوياً » فهل دعونا او دعوا غيرنا من المنتمين للعربية الى الاشتراك فيه ؟ وهل هم منتظرون حتى تبدي الامم العربية الاخرى رأيها فيما هم مخرجون ؟

والحق الذي لا ريب فيه ان مصر اعلى البلاد العربية حضارة واوفرها غنى ، واوسعها علماً وادبا ، فهي حاملة لواء الحضارة في الامم العربية ، وان غيرها ليقتدي بها . ولو انها نهجت في هذا الباب سبيلها لاتبعها غيرها واخذ عنها سواها من الامم الناطقة بالعربية .

ثم ماذا يضيرنا نحن اذا خالفنا غيرنا ، في الدلالة على المعاني الحديثة ، الى غير ما نستخرجه من المفردات وما نتواضع عليه من المصطلحات ؟

* * *

وبعد فلقد اوردت عليك موجزاً من تاريخ اللغة العربية من صدر النهضة الحديثة ، ومبلغ تقلبها ، وكيفية تصرفها . والجهود التي بذلت في سبيل انبساطها لحاجات العلوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكونية . ومن هذا كله ترى ألاّ ملجأ ولامنجى الا بالاسراع في عقد مجمع لغوي (رسمي) تكفله الحكومة ، و يشد منه جمهرة العلماء والمتأدبين ..

بين القديم والجديد ايضاً

قلت لك في مقالي الماضي انه قد اتسع معنى القديم ومعنى الجديد ، اذ أصبح الى تناوله فقه اللغة ، يتناوله الادب في تصرفه وأساليبه ومطالبه والغاية منه ، وغيرذلك . والواقع ان الخلاف جد واضح في امر فقه اللغة ، فهناك قوم يقولون بالتعريب فيما لا غناء للعربية فيه وقوم لايسيغونه البتة ، بل يذهبون الى معالجة ذلك بالنحت والاشتقاق وما اليهما على ماسلف به التفصيل . اما الخلاف في شأن الادب بين أنصار القديم وأنصار التجديد ، فالحق انه غير واضح المعالم ولا بين الحدود .

نعم ان هناك اختلافاً كبيراً تحسه وتستشعره بين آثار هؤلاء وآثار هؤلاء وهذا الاختلاف لقد يظهر مرة بقدر كبير وقد يظهر مرة بقدر صغير ، فهو من الجهة العملية قائم على كل حال . اما من الجهة النظرية فان احداً لم يتقدم الي الآن بتبيين حدوده واظهار وجوهه وتفصيل مسائله . وبعبارة أخرى : ان احداً من هؤلاء ولا من هؤلاء عبر في صراحة ونصاحة بيان عما يرى ان يكون عليه الادب العربي في هذا العصر الذي نعيش فيه . فان انت ظفرت بشيء من البيان في هذا ، ظفرت به على وجه الاجمال لا على وجه التفصيل . وعلى ذلك فليس من حقنا نحن المحايدين ان ندخل في تفصيل ما طواه اهله وأجمله ذوو الشأن فيه . بل ان كل ما علينا ان نأخذ في الامر كلامنا من الجهة النظرية بالاجمال . اما من الجهة العملية البادية في آثار اصحاب القديم وانصار التجديد ، فهذه من حقنا ان نخوض فيها على جهة التفصيل :

يعيب اصحاب القديم خصومهم بان آداب الافرنج قد غمرت احساسهم وطغت على مشاعرهم فانحرفت ملكاتهم عن الطبع العربي ، فهم اذا نظموا او أرسلوا البيان وان جلوه في لفظ عربي فانه لايستقيم لطبع اللغة ولا يساير كرائم آدابها وبدائع أساليبها : صيغ حائلة ، وجمل ناصلة ، وتراكيب متزايلة ، وأخيلة ناشزة على الطبع ، وتشبيهات نابية عن السمع . وانزلاق الى معان غريبة لايصلنا بها سبب ، ولا يربطنا بها نسب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهيهات ان يكون الادب كذلك أو يكون ذلك من الادب .

ويجيبهم الآخرون : انكم لاتفقهون الادب ، ولاتدركون اثر الادب ، ولاتعرفون الغاية من الادب ، لان كل همكم وهمتكم قد احتبسا على رص الألفاظ وتزيين الصيغ بالتماس ألوان المحسنات البديعية مهما استهلكتم المعاني في هذا السبيل ، والتجرد في تلقط جملة قديمة او مثل عربي تسوقون ذلك في غير شيء ، وقد تدفعون الكلام اليه دفعاً لتصيبوه وتستكرهوه على نظمه فيما أنتم فيه . فالاصل في الادب عندكم نظم الفاظ وتصيد صيغ وتزويق كلام كائنة ماكانت معانيه ، وواقعة ماوقعت مراميه . اما المعاني واما الاغراض ، واما إفضاء النفس بما يترقرق فيها من الوان الحس ، واما تصوير الجمال وإشعاره الخ فلستم هناك في شيء من ذلكم . وهذا هوالادب لو كنتم تفقهون .

هذه صفوة مانتفض الينا من مناظرات الفريقين (أصحاب القديم وانصار التجديد) اما من الجهة العملية فقد حدثتك في صدر هذا المقال بان الاختلاف بين آثار هؤلاء وآثار هؤلاء لقد يظهر مرة بقدر كبير ، وقد يظهر مرة بقدر صغير والآن ، ونحن بسبيل الابانة عن الخلاف من هذه الجهة ان نعمد الى أطول أقطاره وأوسع مراميه لنظهر القارئ على أوضح صوره وأبين مجاليه :

فلان عندنا وفلان وفلان يقرضون الشعر فلا يكادون يأتون به الا بالغريب الشامس من مفردات اللغة لا يجد الخاصة انفسهم السبيل الى فهمه الا بمراجعة المعاجم .. فاذا سافروا (في اشعارهم) فطريقهم المواصي (الصحاري) وما يترقرق فيها من السراب ، وما يتراءى لهم من الآل ؛ يقطعونها على متون العيس ، وكيف وردت خمساً (بكسر الخاء) او سدساً (بكسر السين) وكيف صنع ذيلها؟ اوضعته عارضة؟ (فتقول ارخى فوقها ستر) ام رفعته شامذة (فتقول رنق فوقها نسر) وكيف حنت النجائب وكيف انت ، ولم تبلغ راكبها طلبتهم الا بعد ان :

اكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوه انقاضاً على انقاض

فاذا بكوا بكوا الأطلال والاحجار من دوارس الآثار . واذا تعشقوا تعشقوا (بنت معلنق الفوارس في الوغى) واذا واعدوا الحبيبة اللقاء ففي (منعرج اللوى) واذا فاخروا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالكرم ، فبخر الجزور لسنامه (شحم كهداب الدمقس المفتل) واذا كثروا بالشجاعة فاداتهم للطعان (السيف اليماني ، والرمح السمهري ، والقنا الخطي) الخ الخ الخ .

اما المتطرفون من اصدقاء الحديث فعندهم (الموت اللازوردي) و (الهيولى الراقدة على سرير الابدية) و (العذاب الناعم) و (باللجحيم) و(باللشيطان) و (الشيطان المرتبك في نسيج عنكبونه) الخ مما لا أريد الاطالة فيه إشفاقاً على ذوق القارئ الكريم .

هذان مثلان ضربتهما اولهما شديد التطرف في التعصب للقديم . وثانيهما شديد التطرف في عدم المبالاة باللغة في سبيل اصابة معنى حديث .

ولا يذهب عنك انه يقع بين هذين الحدين مراتب متعددة ، حتى انك لا تكاد تحس في بعض الآثار فروقاً بين اصحاب القديم وانصار التجديد . ولا تنس ان العلة فيما ترى من هذا التبلبل او شبه التبلبل في الاساليب هي ماشرحته لك في المقال الثاني فراجعه ان شئت وجوه التعليل .

وبعد ففيم الخلاف في الرأي ، وفيم كل هذا الجدل والحوار ؟ لقد يفهم ان يقوم الخلاف جدياً في متن اللغة بين من يقولون بالتعريب ، ومن يحظرون التعريب . وهذه مسألة يجب ترك البت فيها لمجمع لغوي معقود له ثقة العلماء وأئمة اهل البيان . اما الادب وأساليبه وسائر اسبابه فالخلاف عليه لا يزول بالمناظرة ولا بالاقناع ، وانما ينقاص و يزول بحكم الزمان ، وانه الى هذه الغاية لفي بعض الطريق .

لا أحسب ان هناك شكاً عند اصحاب القديم او دعاة التجديد في ان الأدب في كل لغة وعند كل أمة كائن حي يجري عليه من نواميس الطبيعة مايجري على سائر هذه الكائنات فهو ينمو ويهزل ، وهو يطول و يقصر ، وهو يشتد و يضعف ، وهو ينبسط و ينقبض ، وهو يجود و يخبث ، وهو يتشكل و يتلون . يتأثر في كل هذا بما يدخل عليه من العوامل وما يحيط به من الاسباب والملابسات .

ثم اذا كانت ابلغ مظاهر الادب هي الترجمة عما يعتلج في النفس من العواطف ، و يتنزى فيها من الوان الاحساس ، وما يتعلق به الذهن من فنون الاخيلة ، فلا بد للأدب على هذا من ان يتلون ، ولا بد له ان يتطور .

واعلم وفقنا الله جميعاً للسداد ان اهل العلم اجمعوا على انه مامن صورة يبتدعها الذهن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او خيال يتراءى للوهم الا وهو منتزع من امر واقع مستمد من حقيقة ثابتة . وانك مهما تمثلت لنفسك من الصور ما تجاوز المعقول ، وطيرت من الأخيلة ما يلحق بالمستحيل ، فلست بمستطيع ان تجاوز في شيء من ذلك الواقع ، ولا ان تخرج عن دائرة المحسوس ، وانما كل شأنك فيما تتصور او تتخيل انك ملفق صورك وأخيلتك من الواقع المحسوس ، انك تستطيع ان تتصور جبلاً من اللؤلؤ وبحراً من الزئبق وانساناً من الخشب وطائراً من الذهب ، فهل تراك في هذا جئت بشيء من العدم ، كلا فالجبل موجود واللؤلؤ موجود والبحر موجود والزئبق موجود الخ ، فكل ما صنعت انك لفقت من الحقائق الواقعة لحسك فأخذت من الجبل جرمه ، واستعرت اللؤلؤ لجوهره وهكذا ، وكيف يتهيأ لذهن انسان ان يتمثل اشياء لم تقدر في الخلق ولم يقع عليها حس ؟ ذلك المستحيل .

ولقد ترجم العرب عن احساسهم اصدق الترجمة ، وصوروا عواطفهم ابدع تصوير ، فوصفوا البيد لانها مساكنهم ، والنوق لانها مطاياهم ومادتهم في طعامهم ، وأن لهم (من اصوافها واوبارها واشعارها اثاثاً ومتاعاً الى حين) وافننوا في وصف السيف والرمح لانهما عدتهم في حروبهم ومغازيهم الخ ..

والناس هنا انما يسكنون الدور ، بله القصور . ويسعون في شوارع فؤاد الاول وقصر النيل (والكرنيش) لا في سقط اللوى ، ويمتطون في سفرهم وتجوالهم قطر السكك الحديد ، والترام ، والسيارات ، والمركبات ، لا متون العيس ، وعيونهم تقع كل يوم على ما تخرج الارض من مختلف الازهار والانوار ، لا على القحل ، ولا على الجدب المحل ، وهم يستصبحون بالكهرباء لا بالزيت الخ ، وهم من هذا الذي يقع لحواسهم فوق ما شاع في نفوسهم من علوم الكون واسبابه ، انما يستلهمون الحس ويستوحون الشعور . ولا سبيل لهم الى غير ذلك . فمن أرادهم بعد هذا على ان يغمضوا جفونهم ، ويسدوا آذانهم ويحقنوا انوفهم ، ويبعثوا بمشاعرهم الباطنة وعواطفهم الكامنة ، الى جزيرة العرب تسلخ اليها الف عام مضت لتشهد ما شهد العرب ، وتحس ما أحس العرب ، وتقول ما قال العرب — فذلك من لا يحق له ان يعد في الناس .

ثم مالنا ولكل هذا ، ألم تكن للجاهلية آدابها ، حتى اذا فتح الاسلام للعرب ، واتصلوا بطرف من الحضارة في العصر الأموي تطور هذا الادب وتلون مسايرة لكل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صور الحياة ، حتى اذا استحصدت الحضارة وذاع العلم في العصر العباسي ازداد تطور الادب فواتى كل مطالب العلم والحضارة . وهكذا مابرح الادب يتشكل و يتلون في كل عصر وفي كل بيئة متأثراً بما يتداخله من العوامل وما يحيط به من الاسباب .

والشيء بالشيء يذكر ، فلقد قيل لابن الرومي كيف يسبقك هذا الغلام من بني العباس ؟ (يريدون عبد الله بن المعتز) فقال هذا غلام اذا شعر فانما يصف آنية بيته وصدق ابن الرومي ، ودعك من تشبيهات ابن المعتز في السحاب ، وفي الهلال والنجوم وفي الخمر وفي خيل الطراد ؛ وانظر كيف يقول حتى في مقام الاستعطاف والمديح . قال يصف قلم ابي القاسم :

قلم ما أراه ام فلك يجري بما شاء قاسم و يسير
خاشع ساجد يقبل قرطا ساً كما قبل البساط شكور
مرسل لاتراه يحبسه الشك اذا ما جرى ولا التفكير
كم منايا و كم عطايا و كم عيـ ـش وحتف تضم تلك السطور

أرأيت كيف يكون كلام الملك بن الملك حتى في مقام المديح والاستعطاف ؟ انه لايرى القلم يجري الا بما شاء مرسله وانه لايثنيه في انحنائه على القرطاس الا بمن يراهم في حضرة ابيه وحضرته خاشعين ساجدين يقبلون البساط شكراً على ما أُوتوا من النعمة . ثم لا يرى هذا القلم الا يجري دائماً بالاسعاد والاشقاء و بالاحياء والافناء .

نظن ان هذه القضية من المسلمات عند اصحاب القديم وانصار الجديد .

وهنالك قضية أُخرى لااحسبها كذلك موضع خلاف بين هذين الفريقين : وتلك ان هذا الادب الذي نتحاور فيه انما هو قبل كل شيء ادب العرب . ولهذا الادب اصله وعنصره ، وله مادته وجوهره ، وله بدائع تراكيبه ، وروائع أساليبه ، وله نصاعة ديباجته واشراق بيانه ، وله تلاحم نسجه ورصانة بنيانه ، وله موسيقاه تنحدر الى النفس فتحفزها من عجب ، وتثيرها من شجى وطرب ، حتى انك لتصيب الجمال كله في تنسيق اللفظ ، وتستشعر اللذة اجمعها في تجويد النسج دون اي اعتبار لمعنى او تعلق بخيال .

أليس يهزك قول البحتري :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقفة بالعقيق نطرح ثقلا من دموع بوقفة بالعقيق

وقوله :

ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا مقصراً في ملامة او مطيلا
لم يكن يومنا طويلاً بنعما ن ولكن كان البكاء طويلا

أليس يهزك هذا الكلام ، يتزاحف الى كبدك ؟ ومع هذا اي معنى فيه ؟ واي غرض أراد ان يشكه الشاعر به ؟ اللهم لا شيء غير شرف اللفظ ، وتلاحم النسج ، والبراعة في تأليف الكلام فاذا خرج بنا طلب المعاني الطريفة والتشبيهات الحديثة عن ارضاء الذوق وانحرف بنا عن مواتاة الطبع فقد حق لنا الا ننتظم ذلك الكلام في الادب العربي لا على التفصيل ولا على الاجمال .

* * *

هاتان قضيتان ليس الجمع بينهما بالمعنى ولا بالعسير . فلقد زعمت لك في بعض هذا المقال ان الادب كائن حي يجري عليه من سنن الكون مايجري على سائر الاحياء . فاذا لم تر له الا ان يظل رابضاً في مجثمه من عصر طرفة وزهير فذلك تعسف ايما تعسف ، وانكار لحقوق الحس وواقع الشعور أيما انكار . واذا قدرت له ان يسلخ جلده ، ويجدع انفه و يصلم أذنيه و يفري لحمه و يبري عظمه . ثم يتزايل و يتمايع حتى يستوي للمعاني الحديثة ، و يتهيأ لمطالب الحياة الطريفة ، فذلك العسف بأدب العربية وذلك الخسف من دونه كل خسف .

اذن لقد اتفقنا في تقديري على الاقل على انه لا سبيل لنا الى استمداد مشاعرنا واحساسنا من غير ما يحيط بنا من الاسباب كما انه لا ينبغي لنا أن تجانف لغة العرب وما ازلوا لنا من بارع الصيغ ورائع الاساليب .

فهل ترى يشق علينا الجمع بين هذين المذهبين ؟

كلا والله ما كان ذلك — لو بسطتم لغة العرب في البلاد — بعسير .

ولقد سبقكم القرآن الكريم بالترجمة عن السنة الامم الخالية ، فسوى المعنى بالضرورة ، كاملاً . ولكنه طبعه على ذوق العربية فروي عن ابليس في نشأة آدم (رب فانظرني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى يوم الوقت المعلوم) وروسيه عن نوح (رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين) وروي عن شعيب وآل شعيب (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز . قال ياقومي ارهطي اعزُّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا — الآية الكريمة) وروي عن فرعون موسى يتحدث الى وزيره : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب . اسباب السموات فاطلع الى إله موسى واني لاظنه كاذباً — الآية الكريمة) وغيرهذا مما لا يستدركه الاحصاء من ترجمات الكتاب العزيز . افكان هذا كله ترجمة حرفية يدل فيها لفظ بلفظ ؟ ام ان الكتاب الكريم صاغها بما يتضمن المعنى كله و يتوافى في الوقت نفسه للهجة العرب .

صدق الله العظيم

وفي الواقع انك ترى فينا نفراً ممن اخذوا انفسهم بادب الغرب وطبعوا على ثقافته ، اذا ترجموا او اجتمعوا لاداء معنى حديث اخرجوه على سمت عربي لا ينبو عن الطبع ولا ينشز عن الذوق . وانما اعانهم على هذا فقههم في العربية ووفرة ماحصلوا من مفرداتها وكثرة ما قلبوا من النظر في صيغها واساليبها .

* * *

ولقد قلت لك في بعض هذا الكلام ان الادب كائن حي يجري عليه من نواميس الطبيعة ما يجري على سائر الاحياء اليس يندفع الوليد من رحم امه دقيقاً ضعيفاً لا يملك من امر نفسه كثيراً ولا قليلاً ، فما يبرح ، على الزمن ، بالغذاء والتربية والرياضة ينمو و يتفطن وتدرك جوارحه وتنضج حواسه حتى يصبح رجلاً كاملاً ، اذ هو هو مابدل بداً بيد ، ولا رأساً برأس ، ولكنه صنع الطبيعة تربيه وتنميه رويداً رويداً بما يدخل عليه من الغذاء ، وما يؤثر فيه من عناصر الحياة ، وانت ابوه ما تكاد تستشعر نموه ولا شبوبه للرجولة . وقل مثل هذا في الشجرة الباسقة المظلة المثمرة ، فلقد تخرج نجماً ، ثم لا تزال بموالاة السقي وحسن التعهد تنمو وتطول ، اذ انت لا تحس لها شيئاً من هذا حتى تنبسق وتزهر ، ومع هذا فالشجرة هي الشجرة ما غيرت ساقاً بساق ، ولا بدلت غصناً بغصن .

وكذلك ينبغي ان يكون الادب ، هو الادب العربي في اصله ومنجمه ، يتلون بتلون الزمن ، ويتشكل بتشكل الحضارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحضارة لا تهجم هجوماً ، بل انها لتتسرب الى الناس في هوادة ولين ، فيسايرها الادب كذلك في هوادة ولين ، بحيث ان كل ما تنتظر له به من معان حديثة ، واغراض طريفة ، يمد له بعض جوانبه حتى يتناولها و يسيغها و يهتضمها او يجري بها في عروقه مجرى دمه حتى تندمج في نفسه وتصبح جزءاً من كله ، فيخرج بها وهو هو رابياً ناميا ، اذ تصبح هي به كذلك عربية لا شية فيها وعلى ذلك درجت العرب من اول جاهليتهم الى ان انقبضت لغتهم واوشك ان ينقلص ظلها بنقلص حضارتهم في هذا العالم .

لقد وضحت لك هذا المقام ابين توضيح ، وليس بعده من شك في ان من يريدنا على ان لا نعدو حدود الادب في الجاهلية أو ما بعد الجاهلية انما هو مخلوق لا يؤمن بالحياة ولا بنواميس الحياة . وان من يريدنا على ان نطفر بالادب العربي انما هو انسان لا يؤمن بادب العرب .

باحث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رسالة الكرم

- ٧ -

« اللحق والخلفة »

اللحَق محركة كل شيء لحق شيئًا او أُلحِق به من الحيوان والنبات وحمل النخل واللحق الثمر الذي يأتي بعد الاول . وكل ثمرة تجيء بعد ثمرة فهي لَحَق والجمع الحاق . وقيل اللحق في النخل ان ترطب وتُمَر ثم يخرج في بطنه شيء يكون اخضر قلما يرطب حتى يدركه الشتاء فيسقطه المطر وقد يكون نحو ذلك في الكرم يسمى لحقًا قال الطرماح في مثل ذلك يصف نخلة اطلعت بعد ينع ما كان خرج منها في وقته .

أَلْحَقَتْ ما استلعبت بالذي قد أنى اذ حان حين الصرام[1]

اي أَلحقت طلعًا غريضًا كأنها لعبت به اذ اطلعته في غير حينه وذلك ان النخلة انما تطلع في الربيع فاذا أُخرجت في آخر الصيف مالا يكون له ينع فكأنها غير جادة فيما أَطلعت .

وفي المخصص واذا أنى العنب واناه ادراكه ثم اتى الكرم بحصرم جديد فذلك اللحق والجمع الحاق . والخِلْفَة كاللحق .

وقيل الخلفة شيء يحمله الكرم بعدما يسود العنب فيقطف العنب وهو غض أَخضر لم يدرك بعد[2] والخلفة في جميع الشجر وهو في النخل اللحق . وفي اللسان والقاموس فيقطف

---

(١) الاستلعاب في النخل ان ينبت فيه شيء من البسر بعد الصرام . واستلعبت النخلة اطلعت طلعًا وفيها بقية من حملها الاول .

(٢) هكذا في الاصمعي وفيه ايضًا وهو الخلفة في العنب والنضاج في جميع الشجر وهو في النخل اللحق . وفيه ايضًا يقول احدنا لصاحبه أتدخل تحت العنب فتلقط من الخلفة اي ادخل ولم ار النضاج الا جمعًا لنضيج او ناضج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العنب وهو غض أخضر ثم يدرك وكذلك هو من سائر الثمر . والخلفة ايضاً ان يأتي الكرم بحصرم جديد . وخلفة الثمر الشيء بعد الشيء والأخلاف ان يكون في الشجر ثمر فيذهب فالذي يعود فيه خلفة و يقال أخلف الشجر إخلافاً اذا اخرج ورقاً بعد ورق قد تناثر . وخلافة الشجر ثمر يخرج بعد الثمر الكثير . وأخلف الشجر خرجت له ثمرة بعد ثمرة .

وخلفت الفاكهة بعضها بعضاً خلفاً وخلافة اذا صارت خلفاً من الاولى .

« الزبيب »

تقدم ان الضمير هو الذابل[1] من العنب .

والزبيب ذاوي العنب[2] اي يابسه واحدته زبيبة وقد أزب العنبُ وزبب فلان عنبه تزبيباً جعله زبيباً فتزبب هو . وفي التاج أزب العنب وزببه تزبيباً فتزبب ومن المجاز قولهم تزبب قبل ان يتحصرم وفي المخصص فان ترك العنب حتى يتكمش[3] فقد أزب فاذا فعل ذلك به فقد زُبّب .

والزبيبي والزبّاب كشداد بائع الزبيب .

العُنجُد بالضم الزبيب وقيل حبه وقيل اردؤه وقيل ثمر يشبهه وليس به . وقيل حب العنب وقد تقدم وذكر في القاموس جواز الفتح فيه .

العنجد قال في القاموس كجعفر وقنفذ وجندب الزبيب ونقلها في اللسان عن ابي زيد .

وفي المخصص وهو الزبيب والعُنجُد والعُنجَد وقيل هما حب الزبيب وقيل هما من الزبيب الأسود .

وفيه عن ابن دريد العُنجُد ردي الزبيب او حب العنب وليس له اشتقاق يوضح زيادة النون لانه ليس في كلامهم عَجَد[4] الا ان يكون فعلاً ممانعاً . وفي اللسان والعَنجَد

---

(١) ذبل كنصر وكرم النبات والغصن والانسان يذبل ذبلاً وذبولاً دق بعد الري وقيل ذوى . وذوى العود والبقل يذوي ذياً وذُوِيّاً ذبل فهو ذاوٍ وهو ان لا يصيبه ريه او يضر به الحر فيذبل ويضعف . وذوى العود يبس . (٢) والتين .

(٣) يقال تكمش جلده اي تقبض واجتمع .

(٤) في التكملة ليس في كلامهم عَجْد ولا عَجَد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعُنْجَد[١] رديء الزبيب وقيل نواه ·

الَقصَى بالفاء والصاد حب الزبيب واحدته فصاة وانشد ابو حنيفة :

قَصىً من قَصَى العنجد

الفضا[٢] بالفاء حب الزبيب ·

القضى بالقصاف المفتوحة · مقصورة العنجد وهو عجم الزبيب وهو لغة في الفضى · وقَضّى الرجل بالتشديد اكل القضى ·

وفي المخصص العَرَف الزبيب ومثله في القاموس ·

النواة عجمة الزبيب والتمر ·

وقد تقدم ان كل مافي جوف مأكول كالزبيب وما اشبهه · عَجَم واحدته عَجَمة وان الفرصد بلغانه عجم الزبيب ·

العَزْم بالفتح تجير الزبيب وجمعه عُزُم ككتب · والعَزْمي بياع التجير · والتجير كزغيف ثفل كل شيء يعصر والعامة تقوله بالتاء · وفي المصباح انه معرب · وثفل كل شيء وثافله مااستقر تحته من كدر · وقال الليث الثفل مارسب خثارته او علا صفوه من الاشياء كلها · والثفل الحب · وفي المصباح الثفل مثل قفل حثالة الشيء وهو التخين الذي يبقى أسفل الصافي ·

الحُفال كغراب بقية الثفاريق والأقماع من الخشف والزبيب ·

الصناب ككتاب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب يؤتدم به · والمصنب كمنبر المولع باكل الصناب ·

المَيْس نوع من الزبيب وقد تقدم انه ضرب من الكرم ينهض على ساق ·

الوَيْنَة الزبيب الاسود ·

الطائفي زبيب عناقيده متراصفة الحب كأنه منسوب الى الطائف ·

* * *

(١) في التاج كجعفر وقنفذ فتأمل ·

(٢) هكذا في اللسان وفي التاج والصواب كتابته بالياء ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« التزبيب وموضعه وما يتعلق به »

الجرين : الموضع الذي تجفف فيه الثمار جمعه جُرُن كبريد و برد وفي اللسان والجرين موضع البر وقد يكون للتمر والعنب والجمع أجْرِنَة وجُرُن وقد أجْرَنَ العنب وفي المخصص فاذا وضع في الجرين قيل أُجْرِن .

الرحبة بالتحريك موضع العنب بمنزلة الجرين للتمر قال الاصمعي ولا يسمون موضع العنب الجرين انما يسمونه الرحبه . وقال في موضع آخر ويُجْرِنُ العنب في الجرين اي يجمع فيه وقد اجرنته .

ويقال فرش العنب في الرحبة بسطه ليزبب .

الكتر بالفتح والتاء المثناة حائط الجرين اي جرين التمر والزبيب .

النَشِيرَة هي الجرين كما في المخصص .

المِحْمل كمنبر والحاملة الزنبيل الذي يحمل فيه العنب الى الجرين .

الكنهدر كسفرجل . هو الذي ينقل عليه العنب واللبن ونحوهما .

المكتل كمنبر : والمكتلة زنبيل يحمل فيه التمر او العنب الى الجرين وقيل هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً . والجمع المكاتل .

الزَبيل الذي يحمل فيه العنب الى الجرين والوعاء يحمل فيه جمعه زُبُل وزُبْلان قال الجوهري اذا كسرته شددت فقلت زِبِّيل او زنبيل لانه ليس في الكلام فعليل بالفتح ونقل الصاغاني عن الفراء الفتح . وجمع زنبيل زنابيل وزبل الشيء وازدبله احتمله .

المعقاب البيت يجعل فيه الزبيب .

المِرحة بالكسر الانبار من الزبيب وهو المحل الذي يخزن فيه ذلك .

« عصر العنب والزبيب »

يقال غَمَل العنب يَغْمُله غملاً نضد بعضه فوق بعض وفي المخصص غَمَلت العنب في الزبيل أغْمُله وذلك اذا اردت ان تعصره فجعلته قبل ذلك في الزُبُل فلا يرى الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان .

عصر العنب ونحوه عماله دهن اوشراب اوعسل يعصره عصراً من باب ضرب واعتصره اعتصاراً . استخرج ماءه او ما فيه فهو معصور وعصير فعيل بمعنى مفعول . وقيل عَصَره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عَصْراً وعصَّره تعصيراً ولي عصره بنفسه . واعتصره اذا عصر له خاصة وقد انعصر العنب وتعصر وعُصارة الشيء بالضم وعُصاره وعصيره ماتحلب منه اذا عصرته .

وقال في المخصص اذا اعتصر العنب فاول ما يخرج منه العُصارة وجمعها عُصارات وعُصار وكذلك اسم كل شيء عصر . وقيل العصارة ماسال عن العصر . وما بقي من الثفل ايضاً بعد العصر . وكل شيء عصر ماؤه فهو عصير واعتصر عصيراً اتخذه .

المَعْصَرة التي يعصر فيها العنب والمعصرة موضع العصر .

المِعْصَر كمنبر ما يعصر فيه العنب والمِعْصار الذي يجعل فيه الشيء ثم يعصر حتى يتحلب ماؤه .

العواصر ثلاثة احجار يعصر بها العنب يجعلون بعضها فوق بعض الركوة مثلثة الزاء رقعة تحت العواصر . والافصح فيها الفتح وجمعها ركاء .

الرَّهْص شدة العصر رهص الشيء كمنع عصره عصراً شديداً .

القَرْو مسيل المعصرة ومثعبها والجمع القُري والاقراء ولا فعل له .

« للبحث صلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

تأثير اللغة العربية

« في اللغات الاوربية »

نشر السيد محمد امين محرز مقالة في المقطم عالج فيها بعضاً من المعلومات عن تأثير اللغة العربية و بالاخص اللهجات العربية العامية القديمة في اللغات المنحدرة من اللغة اللاتينية للامم التي كان لها اتصال بالعرب . ولايخفى على كل من تعلم اللغة اللاتينية خاصية عدم وجود أداة التعريف فيها مطلقاً حتى ان اللغات الحديثة المنحدرة منها والتي لم يكن للعرب بها اتصال حافظت على هذه القاعدة وهي عدم وجود أداة التعريف فيها مثل اللغة الرومانية في ولاية « الافلاخ والبغدان » وكذا في لغة «الرومنش» المتحدث بها في شرق سويسرا اما اللغات المتولدة من اللغة اللاتينية وكان للعرب بها اتصال فقد أخذت أداة التعريف عنهم من دون ملاحظة الاحرف شمسية كانت او قمرية وهي اللغات البرتغالية والاسبانيولية والفرنسوية والايطالية وبما ان أداة التعريف في اللغة البرتغالية هي (O) مثل كلة (Opan) اي الخبز و (اوبورتو) (Oporto) اي (الميناء) فانت ترى انها أخذت بالاحرف الشمسية بلا تمييز بينها واللغة الاسبانيولية اخذت بالاحرف القمرية وأداة التعريف فيها (ال) . مثال ذلك (Elpain) الخبز وكلة (Elporto) (الميناء) واداة التعريف في اللغة الفرنسوية هي (lo) وفي الايطالية (il) .

ولما دخل العرب اسبانيا وفتحوا جنوب فرنسا وجنوب ايطاليا وجدوا الشعب يقول عن الماء (Aqua) فنطق العرب حرف (Q) (قافاً) فصارت (اقوى) فاثرت اللهجات العامية في ذلك الوقت التأثير الملموس للآن في الصعيد وبعض مدن شمال افريقيا التي ينطق اهلها (القاف) (جافا) فأخذ الاسبان بهذه القاعدة وسموا الماء بدلاً من (Aqua) بـ (Agua) ومازالت مستعملة للآن وكذلك في البرتغال . اما في فرنسا فيظهر انهم اخذوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باللهجة العامية المستعملة الآن في التكلم في عواصم المدن المصرية ونطقوا القاف (آ فاً) ولا يخفى ان الاحرف المتحركة في آخر الكلمات اللاتينية تسكن في اللغة الفرنسوية فكلمة (Aqua) صارت (Aque) اي ان (أقوا) صارت تنطق (أقو) ونطقوا القاف همزة كما هو واقع في مصر الآن فصارت (آ او) واختصرت الى (او) (Eau) وهي ما يعنى به في الفرنسوية (الماء) . وترون بعض اللهجات في بلاد الارياف مثل القنايات والزنكلون في مديرية الشرقية يعطشون الكاف و يقولون عن كلمة (الحكومة) مثلاً (الحتشومة) .

وقد اخذت اللغة الايطالية الحديثة واللاتينية ايضاً بالنطق العامي فتعطش الكاف امام الاحرف المتحركه مثال ذلك انهم يقولون عن (Cicéron) (سيسيوون) المحامي الروماني الشهير (Cicérone) (تشيتشيرون) .

ولكن الالمان حافظوا على النطق اللاتيني الاصلي ومازالوا يسمونه للآن (Kekeré) كيكرو . وقد ذكر ابن بطوطة في رحلاته انه لما ذهب الى القسطنطينية ايام البيزنطيين في جملة رسل ملك التتار ليخطبوا بنت امبراطور القسطنطينية البيزنطي لابن ملك التتار سمع الاهلين حينما كان يمر بهم في الاسواق يشيرون اليه بكلمة (مراكنو) فاخذتها الامم الاوربية الغربية وسمت بها العرب . وقد عطش الايطاليون (الكاف) على ماسبق بيانه فكانوا يسمون العرب (سراتشيني) (Sarracini) وصحفها الفرنسويون تصحيفاً يسيراً فقالوا (سارازين) (Sarrasin) وقد كثر ذكرها في حروب شرلمان والحروب الصليبية وقد اخذها عنهم الانكليز ونطقوا بها (سارازانز) (Sarrasins) .

ولنرجع الآن لترجمة لفظ البيزنطيين (سارا كينو) ولها معنى قبيح لانك لا تنتظر من عدوك طبعاً ان يسميك ملاكاً فلفظة (سارا) معناها (صحراء) ولفظة (كينو) باللغة اليونانية القديمة (كينوس) (Kynos) يعني (كلب) .

وكثير مثل هذه الكلمات تجده في اللغة الاوربية الحديثة ولها اصل عربي واضرب مثالاً بكلمة تطلق على كثير من محال تجارية صحية في القطر المصري وفي اوربا باجمعها وهي لفظة (فارمسي Pharmacie) وهي مجموعة كلمتين احداهما عربية اصلاً والثانية يونانية و (ماكيون) باليونانية (Makcion) معناها (مصنع) و (Phar) لو نطقنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بكل حرف على حدة لكانت (بهار) اي (مصنع البهـار) وكثير مثل ذلك في اللغة الفرنسوية مثل (كاف) (Cave) (قبو) اي محل خزن الخمر و (مسكين) (Mesquin) و (الجبر) (Algebre) وقد لاحظت في الاسكندرية بنفسي ان بعض صناع البلاط القادمين من جنوب ايطاليا عندما يسألون عن المقاطعة التي كانوا يستوطنونها في ايطاليـا يقولون (آلابريا) (Alabria) عن مقاطعة (كالابريا) (calbria) اي انهم ينطقون (الكاف) بـ (الآف) كما سبق التوضيح .

من تعاليق صاحب مختار الصحاح
« على كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول »

نشرتُ في المجلد (٨) الصفحة (٦٤١) من مجلة مجمعنـا العلمي مبحثاً عن صاحب مختار الصحاح ونقلتُ اليه السماع المدوّن على الجزء التاسع من كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول وقد وجدتُ في كناشي بعض تعاليق لصاحب المختار كنت نقلتها عن هوامش الكتاب المذكور فأحببت نشرها لاطلاع العلماء .

قال : لم أجد اللحوق بمعنى اللحاق الا في لفظ الحديث وكفى به حجّة .

اما الحديث فهو ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلنَ يا رسول الله أينـا أسرع بك لحوقاً قال : أطولكنّ يداً فأخذوا قصبة فذرعوا بها فكانت سودة أطولهن يداً . فعلمنا بعد انما كان طول يدها الصدقة وكانت اسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة . أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

وقال في تعليق آخر :

لم أجد من البيدر فعلاً الا في هذا الحديث بيدر تمرك الى آخر الحديث .

وقال عند ذكر حديث « دعوا الحبشة ما وَدَعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » ان هذا حجة على أئمة اللغة في قولهم ان دع لايستعمل منه ماضٍ .

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

المخارج في الحيل

« للامام محمد (توفي ١٨٩ هـ) »

لم يكف المستشرقين خدمتهم لآدابنا العربية بنشر كتبنا التاريخية والادبيـة حتى سمت بهم همتهم الى نشر كتبنا الفقهيـة والدينية ايضـاً . وهذا الكتاب أعني كتاب (المخارج في الحيل) هو من أعرق آثار السلف في الدين ، وأقدمها في التصنيف ، فهو للامام محمد بن الحسن الشيباني احد صاحبي ابي حنيفة اللذين رويا مذهبه وشرحاه وأكملا ما كان بدأ به من تقرير القواعد وتخريج المسائل وتفريع الاحكام .

وقد عمد الى هذا الكتاب المستشرق الالماني يوسف شخت (Josepf schacht) فطبعه في ليبسك طبعاً متقناً مصححاً . وألحق به رواية أخرى لهذا الكتاب لشمس الأئمة السرخسي . وقد بلغ مجموع صفحات الكتاب (١٣٦) صفحة . ورواية السرخسي لهذا الكتاب مفتتحة بهذه العبارة : (من كتاب المبسوط لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد ابن ابي سهل السرخسي المحتوي على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيباني كتاب الحيل الخ) . فيفهم من هـذا ان كتاب (مخارج الحيل) ليس كتاباً مستقلاً ألفه الامام محمد وانما هو جزء من كتبه الفقهيـة المشهورة المسماة (كتب ظاهر الرواية) وهي أصل الاصول في مذهب الامام ابي حنيفة . قال العلامة ابن عابدين في منظومته رسم المفتي :

(وكتب ظاهر الرواية أتت ستاً و بالاصول ايضاً سميت)
(صنفهـا محمد الشيباني حرّر فيها المذهب النعماني)
(الجامع الصغير والكبير والسير الكبير والصغير)
(ثم الزيادات مع المبسوط تواترت بالسند المضبوط)

وقد جمع الامام الحاكم هذه الكتب الستة في كتاب سماه (الكافي) وقد شرح (الكافي)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامام السرخسي في كتاب سماه (المبسوط) وعليه المعول في مذهب السادة الحنفية . ولذا قال ابن عابدين في منظومته المذكورة :

(ويجمع الست كتاب الكافي للحاكم الشهيد فهو الكافي)
(أقوى شروحه الذي كالشمس مبسوط شمس الائمة السرخسي)

فكتاب (مخارج الحيل) هو احد مضامين ظاهر الرواية للامام محمد . وقد رويت عنه كتب ظاهر الرواية بعدة طرق أهمها ماجاء في مبسوط السرخسي ، فالمستشرق (شخت) طبع كتاب المخارج هذا باحدى الروايات عن الامام محمد ثم ألحقها برواية السرخسي في كتابه (المبسوط) .

ومعنى كلمة (مخارج) ان المكلف اذا وقع في ضيق من امر الحلال والحرام يرجع فيه الى الفقيه فيجد له مخرجاً من ضيقه : بان يفتيه فتوى شرعية تحلل له ما كان حرم عليه او تحرم عليه ما كان حلّ له . فهذه الفتاوى التي تثير المخرج أمام المكلف المرهق سموها (الحيل) وقد ألف الفقهاء كتباً كثيرة في هذا النوع من الفتاوى أشهرها (حيل الخصاف) و ياليتهم لم يسموها بهذا الاسم القبيح فان التحيل في الدين ضرب من التلاعب به بل هو التلعب بعينه والعياذ بالله . وانا لنربأ بفقه ديننا وبكبار أئمتنا — ولاسيما الامام محمد وشمس الأئمة السرخسي — عن مثل هذا الموقف الذي هو شأن من لا خلاق لهم من المتسمين بسمات العلماء . ولذا أنكر بعضهم أن يكون (كتاب المخارج في الحيل) للامام محمد . واسمع ماقاله شارحه السرخسي في فاتحة روايته وهاكه بنصه :

« اختلف الناس في كتاب الحيل انه من تصنيف محمد رحمه الله ام لا ؟ كان ابوسليمان الجوزجاني رحمه الله ينكر ذلك . و يقول من قال ان محمداً رحمه الله صنّف كتاباً سماه الحيل فلا تصدّقه . وما في أيدي الناس فإنما جمعه ورّاقوا بغداد . وقال ان الجهال ينسبون علماءنا (يريد بهم علماء السادة الحنفية) رحمهم الله الى ذلك على سبيل التعيير (يعني ان الجهال من أتباع المذاهب الاخرى ينسبون الى علماء المذهب الحنفي ما لم يقولوه من امر الحيل الفقهية تعييراً لهم وزراية عليهم) فكيف نظن بمحمد رحمه الله انه سمى شيئاً من تصانيفه بهذا الاسم ليكون ذلك عوناً للجهال على مايقولون . واما ابوحفص رحمه الله فكان يقول : هو من تصنيف محمد رحمه الله وكان يروي عنه ذلك . وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصح اه » هذا ماقاله الامام السرخسي وقد ختمه بقوله (وهو الاصح) فدل على ان (كتاب مخارج الحيل) هو للامام محمد نفسه . لكن الحيل التي علّم بها الامام محمد وشارحه السرخسي وأمثالها من ثقات أئمة مذهبنا الحنفي إنما هي حيل يراد بها تأييد حق بعد ان كاد هذا الحق يفوت صاحبه و يفلت من بين يديه ولم يجد نصاً صريحاً يحفظ له حقه فالفقيه يرشده الى طريقة شرعية تساعده على حفظ حقه من الضياع . اما اذا كانت الحيلة تساعد المبطل على بطله وعلى إضاعة حق ثابت لآخر — فان الأئمة رضوان الله عليهم وفي طليعتهم — الامامان محمد والسرخسي — لا يرضون هذه الحيلة ولا يعملون بها . ولا يرشدون اليها . بل ينكرونها ويمقتونها أشد المقت . ويفسّقون الدالّ عليها والآمر بها : فالمديون الذي يحاول الفرار من دينه الثابت في ذمته اذا علّمه احد الفقهاء حيلة توصل بها الى أكل ذلك الدين كان المديون والفقيه آثمين بل فاسقين في نظر الامام محمد وشارحه السرخسي وسائر أئمة الاسلام — والدائن الذي له دين ثابت في ذمة آخر وكانت أدلة الاثبات في يده ضعيفة فله ان يلجأ الى فقيه يرشده الى طريقة شرعية تساعد القاضي على إثبات دينه والحكم به واستنقاذه من يد المديون الظالم — فيكون هذا الفقيه وذاك الدائن غير آثمين بالطبع . ولكن مع هذا كان يحسن ان لا يطلق على هذا النوع من الفتاوى الشرعية — اسم (حيل) ولعل الامام محمداً رحمه الله لاحظ هذا فسمى كتابه (كتاب المخارج في الحيل) وقد أحسن كل الاحسان ولو سماه كتاب (المخارج في المحارج) اي في المضايق والمآزق لكان اكثر احساناً لعمري .

والحاصل ان الحيل التي تضيع على الناس حقوقهم هي المذمومة المنهي عنها شرعاً — وهي التي يجب ان لا تسمى شرعية لان الشرع براء منها — وهي التي ورد في بعض الآثار بحق المفتين بها : « لا تعلموا أولاد السفهاء العلم فيعلّموا الناس الحيل » وكفى بهذا دليلاً على قبحها وسفاهة أربابها .

هذا وانا لنشكر للمستشرقين (ولا سيما الاستاذ شخت) عنايتهم بنشر مآثر أسلافنا حتى الفقهية الدينية منها . لكننا نأمل منهم ان يتفطنوا الى (المتشابهات) من امور ديننا : كمثل اشتباه (بحث الحيل) ويفهموا جيداً ماقاله الامام السرخسي نفسه في هذا الصدد وهو قوله (ص٨٨ من كتاب مخارج الحيل) : (فالحاصل ان ما يتخلص به الرجل من الحرام او يتوصل به الى الحلال من الحيل فهو حسن . وانما يكره من ذلك ان يحتال في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حق لرجل حتى يبطله . او في باطل حتى يموّهه او في حق حتى يدخل فيه شبهة . فما كان على هذا السبيل فهو مكروه . وما كان على السبيل الذي قلنا اولاً فلا بأس به . لان الله تعالى قال : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ففي النوع الاول معنى التعاون على البر والتقوى ، وفي النوع الثاني معنى التعاون على الاثم والعدوان اه .

« المغربي »

—*«×»*—

البستان

« جمعه العلامة الشيخ عبد الله البستاني »

هو كتاب في اللغة أخرجته المطبعة الاميركية ببيروت يقع في قرابة ثلاثة آلاف صفحة من القطع الكبير متقن الطبع حسن التبويب والترتيب . فهو من هذه الناحية يغني في كثير من المواد عن كثير من المعاجم القديمة . ثم هو من حيث السعة والصحة ايضاً يغني عن المعاجم الحديثة التي لم يسلم اكثرها من كثير من الخطإ .

فانت في البستان تكاد ترى ماتراه في اللسان ، بل قد تجد بعض الفاظ أغفلها اللسان نفسه — واللسان من أغزر كتب اللغة مادة — تراه في البستان مبوباً مرتباً لا حشو فيه ولا تكرار .

لذلك يكون البستان قد سدّ ثلمة ظاهرة في دواوين اللغة لا كما قيل فيه : انه نسخة عن أقرب الموارد .

ولو كان لرجل فرد في العصر الحاضر ان يستبد بوضع معجم لكان أستاذنا العلامة عبد الله البستاني حقيقاً ان يكونه . وهو الرجل الذي انقادت اليه هذه اللغة بمفرداتها وغرائبها ، وواردها وشاردها .

بقي ان الترتيب والدقة ، على فائدتها ، ليسا كل ما نحتاج اليه في معاجمنا ، فهناك المصطلحات الحديثة ، وتحديد بعض الألفاظ ، وتوضيح بعض المعاني ، واقرار وجه واحد لالفاظ تكثر فيها اللغات ، الى غير ذلك مما أعرض عنه العلامة البستاني في معجمه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لانه من أعمال المجامع العلمية ، او الجماعات اللغوية ، لا من عمل الفرد . فالكتاب من هذه الناحية ناقص ، ولا يسدّ حاجة العرب والعربية .

وثمة نقص آخر ، هو اغفال ألفاظ قد يفتقر اليها . وهذا مخالف للغرض الذي أراده المؤلف من وضع مطول يجمع اللغة كلها ، اختصره بآخر اقتصر فيه على الضروري من الالفاظ . وهناك أغلاط نرجح انها مطبعية ، غير ان وقوعها ثم تركها من دون تصليح ولا اشارة ، ليس مما يجوز في معجم يرجع اليه .

وفي رأينا ان هذين النقصين سببهما ايضاً الانفراد في التأليف ، ولا يسلم مؤلف من مثل هذا مهما علا قدره العلمي ، وسمت منزلته في اللغة .

الألفاظ المغفلة

فمما أغفله : (السَّهْود) بمعنى الطويل الشديد . و (ساد) بمعنى سود صار أسود . و(الاسود) العظيم من الحيات وفيه سواد . لم يورد صاحب البستان في جمعه الا (أساود) وفي اللسان : (إسودات) و (اساود) و (اساويد) . قلت ولعل اسودات جمع (اسودة) مؤنث (أسود) على خلاف القياس .

(السحدود) السيئ الخلق لم يذكرها البستان . وكذلك : (السند) بمعنى المعتمد . وما اظن قوله : السيد « ما استند اليه الانسان من حائط او غيره » كافياً . والسرد بمعنى الزرد . و (السراد) وهو الزراد . و (السرادة) البُسرة تحلو قبل ان تُزهى وهي بلحة .

اورد (مساعدة) مصدر (ساعد) ولم يذكر (سعادا) ولم يذكر من معاني : (سَمَد) رفع رأسه تكبر بل خص هذا المعنى بـ (سمد) وزان طرب . وفي اللسان سَمَد سموداً رفع راسه تكبراً ، وكل رافع رأسه فهو سامد ، وقد سمد يسمَد ويسمُد سموداً . واغفل أسمأد وبعضاً من معاني اسمدّ واسمادّ .

واغفل . من معاني (السُّهُد) القليل من النوم .

ولم يذكر في (سورد) استادهم بمعنى (سادهم) ولا ذكر (المَسود) وهو الذي ساده غيره . ولا (المسوّد) وهو السيد او الذي سوده غيره . واغفل (تساده) مشاده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشداداً غالبه . و (شد) المئزر جد واجتهد .

هذا ماعثرت عليه في مواد معدودة متتابعة ، ولعل الناظر في هذا المعجم نظراً دقيقاً مطولاً ، يرى أشياء كثيرة قد أغفلها صاحبه . وفي ذلك اخلال بالغرض المقصود من جعل هذا المعجم مطولاً جامعاً . ولا يرد على هذا انها كلمات استثقلها فاطّرحها ، فهو قد ذكر في جملة ماذكره أمثال :

(القُراشيآء) ضرب من النبت . (القِرشب) المسن و— السيئ الحال . . . ، (قرشح) وثب وثباً منقارباً . و(اقرنشع) (اقرنشاعاً) : ابرنشق ورفع رأسه وتنشط . و (المقرنشع) المنتصب المنتشر المتهيئ للشر . و (قرشم) الشيء جمعه كقرمشه : كل هذا على ثقله وقلة فائدته جاء في حقل واحد من صفحة واحدة فما بالك في الصفحات الاخرى ؟

الاغلاط المطبعية

قلنا : (الأغلاط المطبعية) لان الاستاذ لا يخفى عليه صوابها ولا يمكن ان يقع مثله في مثلها . من ذلك :

الشُكُر : عُرفان الاحسان (كذا) بضم الشين والكاف من (الشكر) وصوابها سكون الكاف . وبضم العين من عِرفان وصوابها بالكسر .

(رصخة) جاء في (ولث) عندي (ولثة) من خبر ورصخة منه ، اي يسير . وليس في البستان الاّ (رصخ) في الامر (رسخ) بالسين . ولم ترد فيه (الرضخة) بالضاد . وانما جاء فيه (الرضخ) خبر تسمعه ولا تستيقنه . وفي اللسان (الرضخة) الشيء اليسير تسمعه من الخبر من غير ان تستبينه . فالصواب اذاً (رضخة) بالضاد .

(مسرَهَد) الصبيّ أحسن غذاءه . برفع الصبي رحقها النصب وهي من الاغلاط الظاهرة .

(المسرهد) السمين من (الاسمنة) وصوابها من (الاسمنة) ففي لسان العرب سنام مسرهد اي سمين .

(يمنة . وقطاف) جاء في (سند) . . . و— ذنبُ الناقة خطر فضرب قطافها يُمنة و يسرة . والصواب (قطاتها) بالتاء لا بالفاء على ما في التاج (يَمنة) بالفتح لا بالضم)

وقد وردت (يُمنة) بالضم ايضاً في (لفت) قال : التفت — وبوجهه يمنة (كذا) و يسرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(القرن) وفي (سند) ايضاً : (نافة مساندةالقرن : اي صلبته متلاحكة) والصواب القرى على مافي اللسان والتاج . أنشد ثعلب :

مذكرة الثنيا مساندة القرى جمالية تختب ثم تنيب

والقرى الظهر : يقال جمل اقرى طويل القرا وهو الظهر والانثى (قرواء) وقد وردت القَرى والقَرا . مقصورة وممدودة .

(المُسنَدة) : ضرب من الثياب ولعل الصواب مُسنَّدة كمعظمة بالتشقيل .

هذه أغلاط منها اربعة في مادة واحدة هي : (سند). وعسى ان لايجد المتتبع شيئاً كثيراً من مثل ذلك . على ان هذا الغلط اذا كان يسيراً ضبطه ومعرفته على المشتغلين باللغة ، فليس امره بالهين على الطلاب والشادين .

القصور في التعريف

(السيكران) : نبت دائم الخضرة يؤكل حبه ؟

(السكر) : بالفتح بقلة من الاحرار ؟

(السمام) : بالفتح ضرب من الطير واحدته سمامة على ان ابن منظور في لسان العرب حدد هذا التعريف بعض الشيء بقوله : ضرب من الطير نحو السماني واحدته سمامة . وفي التهذيب ضرب من الطير دون القطا في الخلقة .

(السملاج) : عيد للنصارى ! وكم للنصارى من عيد ؟

(سم السمك) : شجرة الماهيزهرة وتعرف باليوصير اه وترجع الى (اليوصير) فيعرفه بانه : نبت يتداوى به و يعرف بـ (سكر الحوت) أجوده الذهبي الزهر . فالطالب بين (سكر الحوت) و (الماهيزهرة) و (سم الحوت) لا يعرف كيف يخرج ولا بابها يأخذ ؟

وأخرى هي التعريف الدوري الذي أشار اليه المفضال الخوري بطرس البستاني في المقدمة الممتعة التي صدّر بها الجزء الثاني من البستان . عدد فيها شوائب المعاجم وجعل التعريف الدوري احداهن .

(الجو) : الهواء . و (الهوآء) الجو .

(تلافي) تدارك . (تدارك) تلافي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا بعض ماذكره صاحب المقدمة ووقع فيه صاحب البستان وامثال ذلك كثير :

(النصي) : نبت سبط مادام رطباً فاذا ابيض فهو الطريفة .

(الطريفة) : النصي والصليان اذا ابيضا او اذا اعتما وتما .

وليست بالحجة المعذرة ان المعاجم القديمة هكذا وضعت ، وان اصحاب المعاجم الحديثة على هذا جروا . فالزمن الذي نعيش فيه يتطلب غير ما كان يتطلبه عصر اصحاب المعاجم القديمة ، والعلامة البستاني كان يرجى منه غير ما يرجى من غيره ممن وضعوا المعاجم الحديثة والا كان الامر مشايعة والعمل مراجعة .

هذا وقد أغفلت بعض الحركات في كلمات كان من حقها ان تضبط في مثل هذا المعجم وأدخلت بعض كلمات في غير مواضعها .

على ان هذه الهفوات لاتنقص شيئاً كثيراً من قدر الكتاب ومقام صاحبه . وعسى ان يقف الافراد في وضع المعاجم اللغوية بعد اليوم عند هذا الحد اذا كان التأليف متابعة .

وقد وعدت المطبعة الاميركية ان تخرج معجماً يجمع الالفاظ الحديثة والمصطلحات العلمية . فعسى ان ترجع في عملها هذا الى لجنة من الثقات ليكون العمل اكمل والثقة أكبر .

هذا ونحن نكرر الثناء على المطبعة الاميركية ونرجو ان يستأنف المرسلون الاميركان تلك النهضة العربية التي كانوا بدأوا بها في أوائل عهدهم . ونستمطر الرحمة والرضوان لاستاذنا العلامة عبد الله البستاني على خدمته الجلى للغة العربية وأبنائها .

عضو المجمع العلمي العربي

عارف النكدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الدواجن

« لمؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

وهذا ايضاً من الكتب الزراعية النافعة التي عاهد مؤلفها الفاضل نفسه على التصنيف فيها . والكتاب كما يظهر من اسمه يبحث بايجاز عن طرائق تربية الحيوانات الداجنة ويقع في ٢٣٢ صفحة ويحوي ١٦ شكلاً ، ويتناول في قسمه الاول القواعد العامة لهذا الفن « كالتعريفات والخصائص الفردية والتبدلات والوراثة وطرائق التسافد والانتخاب والاصطفاء والتهجين والتخليط والتبغيل والتغذية واهم الاغذية وتعيين الشحنة ومساكن الدواجن والعناية من تربيتها وتصنيف عروقها » . وفي قسمه الثاني القواعد الخاصة بتحلية أهم الحيوانات الداجنة وتربيتها ، فيذكر مثلاً عن الخيل « خلقها وألوانها وشياتها ومعرفة سنها وتحلية عروقها العربية والافريقية والاوربية ، وتوليد الخيل ورياضتها وعلفها وتعهدها وعيوبها وأمراضها » ، وتذكر هذه الأبحاث عن الحمير والبغال والبقر والجواميس والضأن والمعز والإبل .

ومما يلفت النظر ان المؤلف قد اصطلح على تعريب لفظة (Genre) الافرنسية بجنس و (espèce) بنوع و (Variété) بصنف او ضرب و (Embranchement) بشعبة و (classe) بصف و (ordre) برتبة و (race) بعرق (اورس او سلالة) و (Séléction) بانتخاب و (consanguinité) باصطفاء و(croisement) بتهجين و (métis) بهجين او مقرف و (métissage) بتخليط و (Hybridation) بتبغيل و (Hybride) ببغل (او نغل او خلاسي) و (Ration journalière) بشحنة الى آخر ماهنالك من المصطلحات العلمية التي نتمنى لو نتوحد في انحاء البلاد العربية فننقذ بذلك المؤلفات العلمية العربية الحديثة من بلبلة المصطلحات واختلافها بين مصر والشام والعراق والمغرب . وذكر المؤلف عدداً كبيراً من الاسماء الفصحى لاعضاء الخيل وألوانها وشياتها وما يقابلها بالفرنسية مما كان درجه في المجلدين الخامس والعاشر من هذه المجلة . وأظهر ان اسم العوسي الذي يعرف به احد صنوف الضأن في بلاد الشام مذكور في معاجمنا القديمة وان ضأن مرينوس الشهير في اوربا واميركا بجودة صوفه هو من اصل افريقي وان اسمه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مشتق من قبيلة بني مرين . هذا والكتاب يعد في الجملة من خير ماوضع في هذا الفن لخريجي المدارس الزراعية وللمشتغلين بتربية الدواجن في البلاد العربية . فنهنئ مؤلفه الفاضل ببروز هذه الحلقة الخامسة من سلسلته الزراعية ونرجو له التوفيق لا كمالها .

المهندس الزراعي
وصفي زكريا

المختارات

« جمعها الأب رفائيل نخلة اليسوعي وطبعها بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت »
« فجاء الجزء الاول منها في ٢٢٤ صفحة من القطع الصغير وسيليه »
« الجزء الثاني »

نظر المصنف الفاضل في جمع هذه المختارات المدرسية الى عوامل شتى ترغب التلامذة في دراسة آداب اللغة العربية منها ان تكون القطع المختارة لادباء القرن الحاضر دون غيرهم وان يكون بعضها في موضوعات وطنية والباقي في موضوعات متنوعة وتكون لغتها بسيطة متينة الحوك ، ويكون في الكتاب صور المؤلفين وموجز في تراجمهم . ولا شك ان نظرة المؤلف في عوامل التشويق هذه هي نظرة صائبة . لكن الاقتصار على الادباء المعاصرين لا يجوز الا في المدارس الابتدائية او في الصفوف الاولى من مدارس التجهيز اما في الصفوف العليا من تلك المدارس (كالتاسع والعاشر والحادي عشر) فيجب ان يدرس التلامذة قطعاً لفحول الأدباء الأقدمين اذ بغيرها لا يمكن اكتساب ملكة اللغة والوقوف حتى على البسيط من أسرارها .

وجاء في الجزء الاول من المختارات قطع لثلاثين أديباً من المعاصرين منهم الفحول ومنهم الذين يعدون من الدرجة الرابعة . ولذلك نظن ان الأب المحترم لم ينظر في انتقائهم الى عامل ما من عوامل الانتقاء المختلفة . وعلى كل أرى ان كتابه هو من كتب القراءة المفيدة ولا سيما للأحداث .

« الشهابي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقائق ودقائق

« وهي مقالات مختارة من عشرة مجلدات من مجلة العرفان »

صدر الجزء الاول من هذه المختارات حاوياً لاثنتي عشرة مقالة في ٣٢٠ صفحة · وموضوعات المقالات مختلفة وكلها مفيدة ومطبوعة طبعاً جيداً · وفي الكتاب صور لبعض رجال العرب المشهورين · فنشكر للأديب صاحب العرفان هديته ونتمنى صدور الاجزاء التالية من مختاراته ·

« الشهابي »

التعاون

« كتاب اجتماعي الفه الاستاذ احمد لاشين يقع في ٤٥٠ صفحة »

« بقطع الربع »

هو سفر تتجلى في كل سطر منه روح الغيرة الحميدة الكامنة في صدر المؤلف وغزارة معارفه في معالجة الادواء الاجتماعية · وهو فوق ذلك مكتوب بلغة فصيحة لا تكلف فيها يفهمها الفصحاء وغير الفصحاء ومزين بعدد من رسوم كبار الاساتذة الاجتماعيين الذين كان لهم القدح المعلى في نشر أساليب التعاون في اوربة ومصر وتأسيس الجمعيات التعاونية في مختلف البلدان ·

ما لا يستطيعه الفرد تستطيعه الجماعة مشتركة متعاونة ، فالتعاون اذاً في الصناعة والزراعة والاقراض والبناء وخصوصاً في بيع الحاجيات نوع من الاشتراك بين جماعات يحمي بهذه الطريقة بعضها بعضاً من البطالة ومن الفقر بوضعها سداً يحجبه استبداد المتمولين الذين ينتجون المنتوجات او يتجرون بها فيسلبون باثمانها الباهظة الشارين سلباً بلا شفقة غير ناظرين الا غاية واحدة وهي الاثراء العاجل · وقد تبين خصوصاً بعد الحرب العالمية التي قلعت من الناس روح الاستقامة والانسانية ان شركات التعاون خير سلاح لمقاومة جشع الرأسماليين ، وقد رفعت حالة الطبقة المتوسطة وخصوصاً الطبقة الفقيرة وحالت دون سقوطها في حفرة البؤس المحفورة لها بقصد استعبادها ، فأذاقتها شيئاً من الرفه والرغد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تكن لتستطيعه بجهودها المنفردة ، وحمتها من الامراض القتالة التي كانت تفتك فيها في المساكن المظلمة الرطبة القذرة حيث الاجور رخيصة لا يسمح للفقير بؤسه ان يؤوي عائلته الى أحسن منها ، ووزعتها عن إتيان المحرمات وارتكاب الجرائم التي يجرّ اليها الاعدام والجوع .

بون شاسع بين هذا النوع من الاشتراك وبين الاشتراكية المعهودة اليوم ونموذجها الاشتراكية البولشفية ، وشتان بين أضرار هذه في الهيأة الاجتماعية ومنافع تلك . فلا نخلطنّ اذاً بين التعاون الاشتراكي والاشتراكية الصرفة ولنميزن الغث عن السمين عندما نقرأ الكتب التي تبحث في مبادئ الاشتراك .

يتمنى كل عاقل محب لوطنه ان تنتشر في بلدنا مبادئ التعاون التي شرحها الاستاذ لاشين شرحاً وافياً في كتابه ، وهي خير وأبقى من الجمعيات الخيرية الموجودة عندنا . فهذه تساعد الفقير المعدم مساعدة محدودة لا كبير تأثير فيها وكثيراً ما انفقت دانق الاحسان في غير محله ، وتلك تسنده كي لا يهوي وتطعمه حتى لا يجوع ، وتحفظ قواه من الوهن وذريته من الانقراض . وحريّ بكبار مفكرينا ان يشتغلوا بمثل هذه المنافع فيها يرفعون مستوى أمتهم .

عبد الله رعد
عضو المجمع العلمي

حكايات الاطفال

« نشرته المطبعة العصرية بمصر »

لم يؤلف في تربية الاطفال كتاب توفرت فيه جميع الشروط المرغبة للصغار في القراءة والمطالعة مثل هذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ كامل الكيلاني . ويظهر انها سلسلة كتب صدر جزؤها الاول مزيناً بالصور المختلفة الألوان والاشكال مرسومة على ورق متين ويتخللها حكايات غاية في السهولة مكتوبة بخطوط ذات حرف ثخين مختلفة الحبر من أزرق وأحمر وغيرهما . فنلفت نظر المعلمين والمربين الى هذا الكتاب . « المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مبادئ الكشفية

اسم كتاب ألفه بالانكليزية (روبرت يونغ) الانكليزي ونقله الى لغتنا العربية السيد بهاء الدين الطباع . وقد تصرف في تعريبه ذاهباً مذهب الكشاف المسلم من حيث اللباس والعلامات والشعار ونحو ذلك . وهذا الفن (فن الكشاف) حديث النشأة في بلادنا من الوجهتين العلمية والعملية . لكنه آخذ في التقدم رويداً رويداً وهو اذا قارنه حسن التربية الأخلاقية والجد في تحصيل العلم كان منه فائدة عظمى لناشئة البلاد . لانها تبث في نفوسهم روح الرجولة والنجدة والنشاط والإيثار وغير ذلك من الأخلاق النبيلة . فنشكر للفاضل عنايته بترجمة هذا الكتاب . له

نوابغ السريان

رسالة تضمنت محاضرة نفيسة في تراجم نوابغ السريان الذين نبغوا في لغتنا العربية كان ألقاها في حفلة مدرسة حمص السريانية سنة ١٩٣٠ الحبر العالم السيد (سويريوس أفرام) مطران سوريا ولبنان على السريان . وقد جاء في المحاضرة ترجمة نحو ٣٥ فاضلاً من علماء الطائفة السريانية ومعظمهم أطباء وفلاسفة ومؤرخون ومنهم المترجمون الذين نقلوا العلوم القديمة الى لغتنا العربية في عهد المأمون وغيره . فلا غرو اذا كان في مطالعة هذه المحاضرة فائدة لمحبي التاريخ والادب العربي . له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نظرة في كتاب

« الفلاحة الأندلسية »

—«»—

كتاب الفلاحة الاندلسية اهم ما اتصل بنا من الكتب الزراعية القديمة بعد كتاب الفلاحة النبطية · وهو تأليف الشيخ ابي زكريا يحيى بن محمد بن احمد المعروف بابن العوام الأشبيلي الأندلسي ممن عاشوا في القرن السادس للهجرة · وقد طبع بانكري هذا الكتاب في مجريط سنة ١٨٠٢ مع ترجمته الى الاسبانية فجاء في جزءين صفحاتهما من القطع الكبير ·

وترجمه الاستاذ كليمان موله الى الفرنسية وطبعت تلك الترجمة في باريز سنة ١٨٦٥ وذكره دوزي في معجمه ونقل عنه كثيراً من الالفاظ ولا سيما التي لا توجد في معاجم اللغة الاصلية · وذكره ادورد فنديك في كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » · والاستاذ صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة · ولم يفت ذكره احداً ممن الفوا في الزراعة وكانوا على صلة بما تركه الاجداد لنا من المصنفات العلمية لكني لم اجد ذكراً لابن العوام في كتاب الصلة لابن بشكوال او كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار او بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس لاحمد بن يحيى الضبي وكلها مطبوعة في مجريط · وفات ذكره الاستاذ خير الدين الزركلي صاحب قاموس الاعلام ·

ولكتاب ابن العوام شأن كبير لدى علماء الزراعة لأنه يعد اكبر معلمة زراعية في القرون الوسطى · وقد نقل المؤلف عن ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية وعن عدد من المؤلفين المسلمين الذين ضاعت كتبهم الزراعية ولم يتصل بنا شيء منها مثل كتاب ابي عمر بن حجاج المسمى بالمقنع وكتاب الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفصال الاندلسي وكتاب الشيخ الحكيم ابي الخير الاشبيلي وكتاب الحاج الغرناطي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتاب ابن ابي الجواد وكتاب غريب بن اسعد وغيرهم . وقد راجعت اسماء هذه الكتب في فهارس بعض دور الكتب المهمة في اوربة والبلاد العربية فلم اعثر عليها مع ان ابن العوام ذكر في الصفحتين ٧ و٨ من مقدمة كتابه انه اعتمد عليها في تصنيف ذلك الكتاب . فهي اذن قد ضاعت كما ضاع معظم ما انتجته قرائح اجدادنا العرب في القرون الخالية .

واذا تلونا رأي بعض العلماء الاوربيين في كتاب الفلاحة الاندلسية يتجلى لنا ما كان لهذا الكتاب من الفوائد في تلك الايام . قال العالم الفرنسي رنجلمان « كان ابن العوام يسكن اشبيلية وقد قام بعدة تجارب زراعية على جبل الاشرف . وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغة لكنه كناشة لاجود الابحاث الزراعية التي كتب فيها الانباط واليونانيون والرومان مع التي كانت معروفة في الاندلس » .

وقال انطوان باسي في تقرير قدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « لا تقتصر قيمة كتاب ابن العوام على كونه يحوي الفنون الزراعية القديمة والتي كانت متبعة في الاندلس بل له قيمة ثانية وهي كشف النقاب عن ان العرب كان لهم ملحوظات في الطبيعة والكيمياء ما كنا نرتقب وجودها لديهم . وهو سفر ملآن بالفوائد يرينا بايجاز ما كانت عليه الزراعة لدى الامم القديمة ثم في الاندلس وسائر البلاد الاسلامية ابان الفتح الزاهر . وبالاختصار ان هذه المعلمة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر (من الميلاد) هي تامة » انتهى .

ولا بد من تنبيه القارئ الى ان ابن العوام وأمثاله ممن الفوا في الزراعة كانوا قليلي الحرص على سلامة لغة مصنفاتهم وانهم كانوا يستعملون في بعض الاحايين الفاظاً ومصطلحات لا تجيزها معاجم اللغة وقواعدها . ثم ان طبعة مجريط من كتاب الفلاحة الاندلسية بالعربية والاسبانية مشحونة بالاغلاط المطبعية . وبعد هذا يجب ان لا يظن بأن كتاب ابن العوام واشباهه تصلح لهذا الزمان (وان كانت اصلح الكتب في القرن السادس من الهجرة حتى اوائل القرن الثامن عشر من الميلاد) فهي تحوي الغث والسمين كسائر كتب القرون الوسطى في العلوم الطبيعية واذا انعمت النظر في مضمونها رأيت اجود القواعد المبنية على التجارب والحس بجانب اسخف الخرافات التي ينبو العقل عنها . ولا لوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على المؤلف في ذلك لان الفنون الزراعية الحديثة بما فيها من حقائق علمية راسخة هي وليدة القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من البلاد بعد الكشف عن المكروبات واصول الكيمياء وعلم الطبيعة وحياة النبات والاسمدة المعدنية والكيماوية وحياة الحشرات المضرة الخ ·

وهاك بعض ما لفت نظري من الالفاظ والمصطلحات في الجزء الاول من كتاب ابن العوام :

استعمل حرف الصنف بمعنى (Variété) وفاقاً لرأيي ورأي العلامة الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان وخلافاً لرأي الدكتور محمد بك شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية الذي انكر تخصيص ذلك المعنى بتلك اللفظة · قال ابن العوام في الصفحة ٢٥٤ « في غراسة القسطل وهو الشاه بلوط والقسطون قال خ هو اصناف منه المفرطح المعروف بالاماليسي ومنه الصغير المعروف بالبرجي · · · » · وليس صاحب كتاب الفلاحة الاندلسية ثقة في اللغة كما اشرت اليه سابقاً ولكن استعمال هذه اللفظة للمعنى الفرنسي المذكور منذ القرن السادس من الهجرة شيء يدعونا الى عدم استنكار هذا الاستعمال او التخصيص في ايامنا هذه مع العلم بان اللفظة فصيحة لا غبار عليها · ويجب ان لايحط ذلك من قيمة لفظة « الضرب » فهي تصلح ايضاً للمعنى نفسه ·

وقال في الصفحة ٥١ « فينبت الشجر كالسنديان والكتم والضرو » فلفظة السنديان الفارسية الاصل لا ذكر لها في الامهات عدا التاج حيث توجد الجملة الآتية وهي : « الاسناد شجر · قلت والمعروف السنديان » وهو لم يعرّف هذه الشجرة · اما ابن البيطار فقد ذكر في مفرداته : « السنديان هو شجر البلوط عند اهل الشام بلا خلاف » · ولما كان اهل الشام يطلقون هذه اللفظة على نوع خاص من انواع البلوط هو المسمى باللاتينية (Quercus coccifera) وجب ان يخص هذا النوع النباتي بهذه اللفظة المعربة قديماً وان توضع اللفظة المذكورة في مكانها من معاجم اللغة · وهي لم تفت العلامة الدكتور احمد عيسى بك صاحب معجم اسماء النبات ولعله نقلها عن بوست الذي عاش في الشام وعرف النبات الذي يطلق الشاميون عليه هذه اللفظة الفارسية ·

وسمى المنابت (ترمدانات) في ص ١٦٠ والمنبت هو ما اطلقته في مقال سابق على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما يسميه الفرنسيون (Pépinière) اي الارض التي تربى فيها الغراس ريثما تنقل الى مستقرها . وتسميها العامة (دندانة ومشتلة) . ولفظ المنابت اصح واجمل من لفظ الترمدانات التي لا تستعمل اليوم والتي تظهر عليها العجمة .

واطلق لفظ التغطيس والتكبيس (ص ١٨٢) على ما يسميه الاكارون « التدريك والتدريخ » اي حني غصن شجرة ودفنه في التراب دون فصله عنها فتبرز في الجزء المطمور جذور حتى اذا قطع الغصن وفصل عن أمه يصبح نباتاً مستقلاً محتوياً على جميع صفات الشجرة الاصلية . وهذا العمل يسمى بالفرنسية Marcottage وهو بالعربية العكس وهو ايضاً الترقيد مع التوسع . والغصن المحني يسمى العكيس و بالفرنسية Marcotte .

واذا لم يحن الغصن ولم يدفن في تراب الارض بل وضع حوله اصيص (او تنكة) مملوء تراباً كما يصنع فلاحة بلادنا بالكروم وبأشجار الفصيلة البرتقالية مثلاً فان هذا العمل يسميه ابن العوام الاستسلاف (ص ١٨٧) . وقد وصفه بدقة وسمى الاصيص ظرفاً كأن يكون قصرية او قدراً . ولم اجد لفظة الاستسلاف في الامهات بهذا المعنى او بمعنى يقرب منه . وذكر دوزي في معجمه عن مولد الفرنسي الذي ترجم كتاب ابن العوام الى الفرنسية ان الاستسلاف هو العكيس الموضوع في قصرية وذلك خطأ لان ابن العوام اطلق الاستسلاف على الفعل اي على طريقة العكس هذه لا على العكيس .

وسمى الاصيص اي ما تسميه العامة (شقفة زربعة) قدراً واجانة (ص ١٩٩) وقصرية (ص ٣١٨) ومن الغريب انه سماه ايضاً (شقفة فخار) وهي اللفظة الدارجة على لساننا قال في ص ١٩ من ج ٢ « ويجعل ذلك في شقفة فخار » وهي عامية .

واذا قطعت الارض قطعاً لفصل اعضادها بعضها عن بعض لكي يسهل سقيها فكل قطعة منها تسميها العامة « مسكبة » وقد سماها ابن العوام « حوضاً » قال في ص ٣٩١ « ... ويقطع احواضاً كل حوض ١٢ ذراعاً ... » .

ومما يلفت النظر ان بعض الذين نقل ابن العوام عنهم كأبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن العضال الاندلسي كانوا يستعملون اسماء الاشهر الافرنجية وهي يناير وفبراير الخ وهؤلاء نقلوها عن الكتب الرومية . وبعضهم كانوا يوردون اسماء الاشهر السريانية وهي كانون الثاني وشباط الخ ومنهم ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية . فيتضح اذن ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استعمال هذه او تلك من اسماء الاشهر كان امراً مألوفاً . والشاميون لا يستعملون اليوم في كتبهم وجرائدهم ومجلاتهم الا الاسماء السريانية اما المصريون فيقتصرون على ذكر الاسماء الفرنجية . ولما كان من الضروري توحيد الثقافة في القطرين وكانت الالفاظ الفرنجية مألوفة لدى المغاربة من العرب والمتعلمين من ابناء الشام والعراق ارى من المفيد ان يستعمل الشاميون والعراقيون اسماء الاشهر الفرنجية في مطبوعاتهم بدلاً من الاسماء السريانية او ان يضعوا هذه بين هلالين بجانب تلك .

وعندما تكون الزروع والغراس كثيفة متآصرة تقلع الضعيفة منها لتجود البقية . فهذا العمل يسمى بالفرنسية Démariage وقد وجدت المصريين يطلقون عليه فعل أخفّ فيقولون أخف الزرعَ و يُخف الزرع بمعنى يجعل خفيفاً اي يقلل عدد نبتاته في الارض المزروعة . اما ابن العوام فأنه استعمل لهذا الغرض التفريج ما بين الغراس بمعنى الكشف والتوسيع وهذه اللفظة اصلح من التي استعملها المصريون وكنا استعملناها نحن نقلاً عنهم .

ومن التعبيرات الغريبة التي لم نسمع بها اضافة الفلاحة للحيوان قال في الصفحة الاولى « ... وما يتعلق به من كتبهم في فلاحة الحيوان .. » وقد كرر هذه الاضافة في الصفحة السابعة . و يظهر انه يعني بقوله « فلاحة الحيوان » الفن الذي نسميه اليوم « فن تربية الدواجن » و بالفرنسية Zootechnie

وثمت الفاظ استعملها ابن العوام ما برحت شائعة الى يومنا هذا على السنة الفلاحين ولكن يندر ان تراها في كتاب حديث مطبوع وهي كثيرة مثالها :

ص ١ (وفلاحة الارض تنقسم قسمين بعلاً وسقياً) .

ص ٢١ (تدبير التفاح حتى يثمر في غير إبانه وتدبير غرس العنب حتى يكون حبه دون نوى) . ونحن نستعمل اليوم في الكتابة افعال المعالجة والتهيئة والتحضير وغيرها بدلاً من التدبير مع ان الفعل الاخير كثير الاستعمال في المكالمة وهو فصيح بمعنى الاعتناء والتنظيم .

ص ٣٨ (ولذلك كان وجه الارض اطيب من سائر اجزائها) ونحن نكتب اليوم أجود واصلح ونستعمل لفظة اطيب بلساننا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص ٦٤ (... والتي يغلب عليها البياض)

ص ٦٧ (... فهي اوفق الارضين للارز) ونحن نستعمل في الكتابة لفظ اصلح الارضين .

ص ٦٧ (... وربما خف سوادها) بدلاً من قلّ

ص ١٥٢ (ينبغي ان تختار مواضع لغرس البساتين فيها مياه كافية)

ص ١٥٥ (في اتخاذ الاشجار في البعل وفي الجنات على السقي)

ص ٦ (.. ومعرفة جيد الارض ووسطها والدون منها) واللفظة الاخيرة فصيحة ومتفشية على الالسن لكنها غير مستعملة في الكتابة .

ص ١١ (النبش والطمر والمشق) استعمل الاولى للكشف عن اصول الاشجار والثانية لرد التراب الى الارض والثالثة للحفر الخفيف كالتمشيط .

ص ٢٣ (فيما يريح الارض و يصلحها ...)

ص ١٢ ج ٢ (قال شولون البر يستنفد دسم الارض)

وهكذا عثرت في كتاب ابن العوام على عشرات من الالفاظ الشائعة على السنة اكرة الشام اليوم ويندر ان يستعملها الكتاب كما قلت ذاهبين الى انها عامية اومبتذلة .

واورد التركيب والأنشاب والاضافة بمعنى التطعيم . واستعمل في تعدية الفعل الاول تارة حرف الجر في وطوراً على . قال في الصفحة ٤٢١ « اذا ركبت شجرة على شجرة توافقها ... وان التفاح اذا ركب في الرمان ... » . اما انشب فعداه بالحرف في واما اضاف فبالحرف على قال في ص ٤١٧ « متى ينشب اترج في فرصاد » وذكر في ص نفسها وفي التي تليها فعل الاضافة معدى بحرف الجر الى .

وفي الامهات طعّم الغصن وأطعمه وصل به غصناً آخر . اي انك اذا اردت جعل شجرة مشمش كلابية تحمل مشمشاً حموياً مثلاً تقول « يجب تطعيم المشمش الكلابي بالمشمش الحموي » فالاول هو المطعم والثاني نسميه اليوم الطعم . ولم اجد في المعاجم الاصلية غير ذلك . اما ابن العوام فقد اورد في ص ٤١٩ « يطعم الجوز في التين و يطعم القراسيا في الاجاص ... » وذلك مخالف لما ذكرنا وكان يجب ان يقول « يطعم التين بالجوز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأجاص بالقراسيا » لأن التين والأجاص هما المطعمان اي ما يراد التخلي عنهما . ومع هذا فان عبارة ابن العوام لا تحتمل الالتباس فكأنه قال يركب الجوز في التين والقراسيا في الأجاص .

أما كتاب هذه الايام الذين تناولوا الزراعة والنبات في ابحاثهم فكثير منهم يعدون فعل التطعيم بعلي وذلك تبعاً للافرنج في لغاتهم فيقولون مثلاً طعم البرتقال على الاترج بدلاً من طعم الاترج بالبرتقال . والجملة الاولى هي ترجمة الجملة الفرنسية (Greffer l,oranger sur le bigaradier) .

ومن اشكال التطعيم التي تراها مفصلة في كتب الزراعة الحديثة التطعيم بالشق (Greffe en fente) والتطعيم التاجي ترجمة (Greffe en couronne) والتطعيم بالبرعم (Greffe en écusson) . فالشكل الاول سماه ابن العوام التركيب بالشق كما نسميه اليوم وسماه ايضاً التركيب النبطي قال في ص ٤٥٢ « التركيب الذي يعمل بالشق ويسمى النبطي ... » . وسمى الشكل الثاني تطعيم اللحاء (ص ٤١١) والتطعيم الرومي (ص ٤٥٦) وقوله تطعيم اللحاء اقرب الى الفهم من التطعيم التاجي لأن الغصن في هذا الشكل يركب في المطعم بين اللحاء والعود . اما الشكل الثالث فقد سماه التركيب الفارسي والتركيب بالرقعة والتعبير الاخير لا يزال شائعاً على السنة الأكارين في بلاد الشام . ومما هو شائع لديهم ايضاً لفظة القلم للغصن الذي يركب في المطعم في شكل التطعيم بالشق وللذي يؤخذ منه البرعم اوالعين في شكل التطعيم بالبرعم (اي الرقعة) فان ابن العوام يستعمل لفظة القلم لذلك الغصن كما يستعملها البستانيون في ايامنا هذه .

واستعمل الكَسْح والزَبْر والشَمْر (ص ٥٠٠) لأشكال تقليم الاشجار والكروم على الاطلاق [1] . والفعلان الاول والثاني مابرحا جاريين على السنة فلاحة بلادنا . ولم اجدهما بهذا المعنى فيما لديّ من الامهات .

وسمى القضبان التي تقطع للغرس اوتاداً كقضبان الكروم والصفصاف والحور مثلاً وهي التي يسميها فلاحو الشام افلاماً وفلاحو مصر عُقَلاً واصلح لفظة لها الفَسْل ج

(١) انظر ج ٤ ص ٣٧٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقسل وفسول [١] واقربها للفهم «قضبان الغرس» . وهي بالفرنسية Boutures .

واستعمل لفظة « الخلوف » للفسائل التي تنمو حول جذع الشجرة (ص ٢٦٨ و٢٢٩) وهي بالفرنسية Rejetons ويسميها اكار والشام «مرار يش وأخلاف » وسميتُ واحدتها الشَكِير والعِقّان والرَكْزة والبتيلة [٢] الخ وسماها العلامة امين المعلوف الحَبَلة والسِرْع والشكير والنامية [٣] . واخطأ دوزي في معجمه حيث قال ان ابن العوام استعملها لقضبان الغرس فحسب اي Boutures .

واورد النَقْلة والنَقْل ج أنقال بمعنى الغريسة والشربة (نصبة في الشام) و بالفرنسية Plant وهذه اللفظة لا توجد في الامهات بهذا المعنى ولا يستعملها فلاحو الشام في هذه الايام .

ويحصل على ارومة الزيتون مثلاً حذاء سطح الارض او تحته نتوءات بارزة عليها عيون تتفتح عن فسائل . فاجزاء الارومة المذكورة تصلح للغرس وتسمى في بلادنا « الجمّار » وقد سماها ابن العوام العُجَر واحدتها عُجْرَة (ص ٢٢٩) وسماها دوزي في معجمه نقلا عن موله Loupe ou protubérance d'un olivier مع ان اللفظة الفرنسية المستعملة في الكتب العلمية هي Eclat de souche ويسمونها في بعض انحاء فرنسة Souquet و Souchet . والعجرة بمعنى النتوء والعقدة فصيحة ويفيد استعمالها للمعنى الذي نحن في صدده .

وذكر دوزي ان ابن العوام استعمل لفظة النوامي لما يسمى بالفرنسية Drageon مع انه استعملها لتلك اللفظة وللفظة Rejeton على السواء وكذا لفظة مَأْخ ج مُلوخ .

هذا جزء مما اقتبسته من الفاظ كتاب الفلاحة الاندلسية فلعل في ذلك فائدة لمن يؤلفون في العلوم الزراعية والنباتية .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) انظر ج ٥ ص ٥٥٨ . (٢) انظر ج ٥ ص ٥٥٩ .
(٣) انظر ج ٧ ص ٢٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net